روايات عالمية

مارتا الهولندية

ليون دوديه

مكتبة معروف



للكاتب الفرنسى

ليون دوديه

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربي للنشر بالاسكندرية
معروف أخوان

3 ٣

الفصل الأول

هموم الملكة

كانت الساعة السابعة صباحاً حين فتحت أبواب قصر " دى بلو " وبرزت منه مارى انطوانيت ملكة فرنسا تحفة مثلى من تحف الطبيعة المتلألئة الباسمة ..

وبكل وقار .. جلست داخل مركبتها متكئة على وسائدها الوثيرة .. فى طريقها إلى الدوق " دى شوازيل " حيث ستقضى بضعة أيام فى قصره الريفى .. بعيداً عن همومها الكثيرة التى تتجلى دائما فى الدسائس والمؤامرات التى تحيط بها من كل جانب ..

الدوق " دى شوازيل " صديقها الحميم بل أبوها الروحى .. والذى جمع بينها وبين لويس السادس عشر فى زيجة اهتزت لها ممالك اوربا وبلدانها .. هاهى الآن متجهة إلى قصره حيث ستنعم بالراحة وسط أناس يحبونها ويعطفون عليها .. ولكن هل كانت الملكة مارى بحاجة إلى الحب.. والعطف؟.. نعم .. كانت فى أمس الحاجة إليهما .

فالناس تكتفى بالنظر إلى ملابسها الرائعة ومجوهراتها الثمينة بالإضافة إلى مركزها كملكة .. ويكفى هذا كى يحسدونها .. ويصيحون حين رؤيتها :

– آه .. ما أروع هذه المرأه .. ويالحسن حظها ..!!

وهم بذلك قاصرون فى حكمهم تماماً !!.. فالملكة – مثلها مثل أية امرأة أخرى – كانت تتمنى حياة هادئة مستقرة .. وسط زوج محب وأبناء صالحين ..

مثلها مثل أى زوجة تنشد الحب .. ولكن أين تجده وسط تلك الحياة الرسمية المثقلة والتى كتبت عليها المقادير أن تحياها ..

كان الملك – زوجها – يحبها حقا .. ولكن التقاليد كانت تحول دونه وإبداء هذا الحب ..

وتباً لها من تقاليد تغلق القلب فى وجه نسائم الحب الذى تهفو إليه كل امرأه ..

.. إذا جلس قبالتها على مائدة العشاء أرسل اليها نظرات تكاد تخترق جسدها الفاتن ولكنها مجرد نظرات .. فيها وقار وفيها احتشام .. ولكن ليس فيها ذلك الغرام الذى يضطرم فى أعماق القلب ..

.. حتى عندما يزورها فى مخدعها يأتى متلصصاً حذراً خشية أن يراه أحد .. وهى زوجته شرعا وأى زواج هذا الذى يجعل بين مخدع الزوج ومخدع زوجته دهليزا سريا ؟ .

.. هموم ثقيلة لايحس بها غيرها .

.. الا ليت الناس يعرفون أية نقمة تكابد ملكة لها قلب ينبض ..

الا ليت أية أمرأه بسيطه تعرف انها تحيا حياة أفضل منها .

.. ووصلت المركبة إلى " رامبواز " حيث قصر الدوق " دى شوازيل " الرائع .

مبنى جميل شاهق مرتفع الأبراج تحيط به أشجار السرو وتتناثر حوله أحواض الزهور الرائعة فى تناسق بديع ..

هنا يعيش صديقها العجوز " دى شوازيل " مع زوجته ، بعيدا عن مظاهر الأبهة الرسمية .. يعيش كملك ، ولكنه ملك سعيد رضى البال ، لا تحيطه فتن ولا دسائس ولا أكاذيب ليس هناك من يتملقه بغيه الحصول على منفعة خاصة ، ليس هناك من يتآمر ضده ويهدد حياته ..

كان الدوق " دى شوازيل " من أكثر الناس خبرة بدسائس البلاط ومؤامرات الحاشية والألفاظ المعسولة التى تقطر سما ناقعاً .

كان وزيراً للخارجية .. وكان داهية دوخ إنجلترا عدوة فرنسا الأزلية ، وأزعج الساسة فى روسيا .. ثم كانت ضربته الرائعة حين زوج الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا بمارى انطوانيت .. الأبنة الخامسة عشرة للأمبراطورة (ماريا تيريزا) إمبراطورة النمسا فجمع بذلك بين فرنسا والنمسا وأقام منهما دولة متحدة تلقى الرعب فى القلوب وتتحدى العالم فى مقدرة وثقة ..

ولكن جميع القوى تضافرت ضده .. القوى الداخلية والخارجية .. حاربه جميع الخصوم بالداخل والخارج حتى اقصاه الملك عن منصبه .

ففى قصره الريفى المنيف وسط اتباع يحبونه ويبجلونه عاش الوزير السابق عزيزا مكرماً وإن كان مازال حجة فى الشئون السياسية ومرجعاً هاما سواء لهواة السياسة أو هؤلاء الذين يعملون فيها بالفعل ..

كانت له وجهات نظره السديدة وحكمه السليم على الأمور .. وغالبا ماكان يبدى أسفه على الملك - والذى يحبه كثيرا - وهو لايفطن للمؤامرات التى تحاك ضده فى الخفاء .. وكان من رأيه أن رجال الدين هم أعداء الملك الحقيقيون .. يليهم النبلاء وكلتا الطائفتان كان لهما من المميزات والصلاحيات مايفوق الحصر والوصف ..

.. هبطت مارى أنطوانيت من المركبه لتجد الدوق والدوقة فى أستقبالها..

مأأجمل اللقاء بالأصدقاء القدامى المخلصين ..

وابتسمت مارى ابتسامة صادقة من القلب أما الدوق دى شوازيل فقد أمسك يدها وهو يقول : لاشك أن جلالتك قد لاحظت الأسلوب الجديد الذى اتبعه فى تنسيق الحديقة .. فى الواقع أن صديقى سفير الصين هو الذى أشار علىّ به .

ضحكت مارى وقالت : ونعم المشوره ياصديقى .

واستطرد الدوق قائلا : وهذا يدل ياصاحبة الجلالة على أننا لانقدر الصين حق قدرها .. فتلك البلاد هى التى اخترعت البارود

ومع ذلك أبت أن تستعمله .. وطافت الملكة بالحديقة تصاحبها الدوقة " دى شوازيل " .. كانت تثب وتقفز فى رشاقة كأنها طفلة صغيرة .. تنحنى على الزهور فى مرح تستنشق عبيرها وتنتشى له .. تقف أمام لوحات الطبيعة الساحرة تتأمل وتفكر فى تلك السعادة التى قدر لها أن تحرم منها .. وللأبد ..

وانتهيا إلى البحيرة .

واستقرت الملكة فى القارب وتولى الدوق " دى شوازيل " التجديف لينزلق القارب فى سهولة ويسر فوق سطح الغدير ..

تنهدت مارى انطوانيت وفى صوت متهدج قالت :

– ماأجمل الطبيعة .

ثم أخذت تنقر على حافة القارب بأصبعها فى حركة عصبية ، وتنهدت مرة أخرى وقالت :

– لقد كنت فى حالة نفسية سيئة للغاية قبل أن آتى إلى هنا ياشوزايل .. والدوق المحنك يعلم أن هذه الكلمات ماهى إلا مقدمة صغيرة لسيل من الهموم والشكوى .. واسترسلت مارى انطوانيت:

– هناك فى قصرى لاأجد إلا عيونا ترصد حركاتى .. أمى ترسل إلى رسائل تزجرنى فيها وتصفنى بأننى طائشه ومغرورة .. ولكن ماذا أفعل وأنا فى كل يوم أحظى بعدو جديد ؟ ..

فقال (دى شوازيل) :

– ماذا تقولين يامولاتى ؟ أيكون لك أنت أعداء يحقدون عليك ؟!

فارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة وقالت :

– إن أعدائى فى كل مكان ياشوازيل .. لو راقصت بعض الرجال فى الحفلات الساهرة قالوا فى اليوم التالى أنهم عشاقى ، وإذا ماخالطت الشعب وأندمجت بين الجماهير فى الحفلات الخيرية قيل أننى أفعل ذلك كى أحقر الشعب وأهين الفقراء ، حتى هؤلاء الذين يتظاهرون بصداقتى ، يضمرون لى كل شر .. تأتى إلى زوجة أحد النبلاء وتطلب منى أن أتوسط لدى الملك كى أنصر زوجها فى أمر ما ..ثم تكون هذه النبيلة نفسها هى التى تشيع أننى عشيقة زوجها ، فى كل يوم تأتينى عشرات الرسائل التى تتهمنى بأبشع الصفات ، وترمينى بأفظع الشتائم ..

فقال شوازيل : هذا يعنى أن رجال الشرطه لايقومون بعملهم كما يجب .. كما أن بعض رجال البلاط مشتركون فى كل هذا الهراء الذى يحدث .. فصاحت الملكة : ماذا تعنى ؟..

– أعنى أن فى القصر الملكى نساء ورجالاً يغذون أعداءك بالتهم التى تلصق بك ..

– فى قصرى ؟

– نعم .. إننى أملك أدلة دامغة لما أقول .. مولاتى إننى على يقين تام من أن هناك مؤامرة ضدك تحاك فى الخفاء ..

وفى هذه اللحظة أقبل طائر أسود كبير وحام فوق البحيرة وهو يرفرف بجناحيه كانت العصافير تغرد وتملأ الدنيا ضجيجا ، فلم رأت الطائر الأسود فزعت وكفت عن التغريد ..

ابتسم دى شوازيل وقال :

-مولاتى .. لقد أتتك الطبيعة بمثال حى .. كانت العصافير تقلق راحة الدنيا ، ولكنها انكمشت وسكتت حين خافت .. أن التغاضى يزيد الصغار جلبة وضجيجا ..

فقالت الملكة : وكيف نخوفها .. تكلم ؟

فقال شوازيل بجدية : الدولة تتكون من النبلاء والفنانين والفلاحين والرعاع ويجب أن يكون الأنسجام والتآلف قائما بين كل هؤلاء .. فإذا ماخرج أحد عن هذا النسق فيجب أن نتخلص منه سريعا ..

فقالت الملكة متسائلة : هل تعنى أن نستخدم الشدة ضد الجماهير ..

- تماما ..

- ولكن هذه الخطوة سوف تؤدى إلى إراقة الدماء وإزهاق الأرواح.

- هذا أفضل من الإنتظار .

- ولكن الملك لن يوافق على هذا ..

–عليك أقناعه .

– ولكن الملك لا يعتد برأيي كثيرا .. كما أن وزراءه لايرحبون بى فى اجتماعاتهم ..

فقال شوازيل : إذن عليك أن تشيرى عليه بذلك وأنتما فى خلوه معا .. أن الكثير من أمور الدول تتقرر فى مخادع الملوك ..

واكتفى شوازيل بهذه الكلمات وهو يرمق الملكة بنظرته الشهيرة التى تنم عن حنكته وسعة علمه ..

.. وتمر الأيام سعيده هانئة بمارى انطوانيت التى انتهزت فرصة وجودها فى ذلك المكان الجميل لتستمتع بكل ماحرمتها منه حياة القصور وتقاليد الملوك ..

.. تناولت طعام الريف البسيط .. تحدثت مع البسطاء مع خدم القصر والذين كانوا يجهلون هويتها .. ضحكت مع أحلام جويوميت الوصيفة الفقيرة والتى كانت تتمثل فى كيفية الإيقاع بأحد الشبان ليخطبها .. وفى آخر يوم لها بالقصر .. أهدت مارى انطوانيت لـ " جويوميت خاتما ثمينا .. وهى تطلب منها أن تذكرها دائما فى صلاتها .. وكيف لايتقبل الرب دعاءا خالصا من مخلوقة طاهرة بسيطة كجويوميت ..؟!

.. ولكن الأوقات السعيدة تمر بسرعة البرق ..

.. جاء رسول من قبل الملك يحمل رسالة إليها .. ولم يكن فى هذه الرسالة سوى سطر واحد .. " أفكر فيك بلا انقطاع .. عودى

حالا .. لويس" .

ورجعت الملكة إلى باريس .

كانت كلمات شوازيل لاتزال تتردد فى سمعها ، وكانت تتمنى فرصة تفاتح فيها الملك بما سمعت .. ولكن الملك - ولسبب لايعلمه أحد - كان شديد النقمة على شوازيل ..

ماسمع اسمه مره إلا قال :-

- لاتذكروا هذا الرجل أمامى .

كان يعلم أن سياسة الوزير الحالى " فرجين " تقود البلاد إلى الخراب ، وتدفع بالنمسا إلى أحضان انجلترا ومع ذلك كان لايزال مصراً على عدم إعادة شوازيل إلى منصبه .



الفصل الثانى

الكونت فرسن

عندما تزوجت مارى انطوانيت لويس السادس عشر ، وغدت ملكة فرنسا ، أيقن الدساسون والمنافقون أنهم امام عدو جديد ، له قدرة كبيره نظرا لمكانته ، فهى لما لها من شباب أخاذ ، وجمال فاتن وصراحة متناهية كفيلة بتوجيه الملك حسب الوجهة التى تريدها ، والملك معروف بضعف شخصيته وانحيازه المطلق لآراء من يحب ، وهو يحب الملكة كثيرا ، ولايخفى هذا عن أى شخص فى البلاط ، بل وأى باريسى بسيط من عامة الشعب.. كانت مارى كفيلة بأن تقضى على مصالح هؤلاء ، وتقوض نفوذهم ، فراحوا يحاربونها .. وكانت حرباً بلا ضمير ..

أحاطوها بالأكاذيب والشائعات والتهم الباطلة .

أبعدوها عن شعبها بما كانوا يرددونه عنها ، ويقذفونه بها من شبهات وأتهامات أخلاقية رخيصة ، حتى كرهها الشعب ، ونبذها فى حين كانت هى – على الأرجح – نقية طاهرة .. بريئة ... كانت مثل الشاة المسكينة التى أحاط بها الجزارون ، ويريدون ذبحها وسلخها .. وتقطيع لحمها..

كانت شـهرتها تعم فـرنسا بوصفـها أمرأة مـستهـتره .. مبـتذلة لاتعرف الفضيلة ، غارقة فى مسـتنقعات الرذيلة حتى أخر شعرة فى رأسها .!

جاءت مارى من النمسا ..وهى بلاد عرفت الفضيلة والأحتشام ..

ولكن فى فرنسا كانت الأمور غير هذا .. كان العهد أيلاً للانحلال ، للثورات . للأنقـلابات ، لم يكن الخلق الفرنسي هـو الخلق الرصين المتوازن .. وإنما شاع فيه التبذل ..

خلف الأبواب تجـد الخدم والخـادمات يـتبـادلون القبـلات ، وفى المخادع تجد سيدات القصـور مع عشاقهن ، والحديث الذى يدور فى المجتـمعات الصـاخبة كله فـجور .. حديث وكلـمات يندى لها جـبين الفضيلة خجلا ..

كانت هذه هى الحـياة فى فرنسـا حين هبطتهـا مارى أنطوانيت ، فكان طبيـعيا أن تلصق بـها التهم .. مـا من ايماءة أبدتها إلا فـسرها القوم على غرار سلوكهم وحياتهم التى يعيشونها ..

هكذا خلق أهل باريس من مـارى أنطوانيت أمرأه أخـرى لا وجود لها .. أمرأه من صنعهم ،..أمرأه غارقة فى الوحل ..تافهة فى غابة من الرذائل ..

وفى الحقـيقـة .. كانت مارى أنطوانيـت كريمة .. فـعالة للخـير .. تعطف على الفقراء فى غير تعجرف ولا أستعلاء ..

ولكن ماذا تفـعل أمرأه وحدها .. مـا الذى يمكن أن تقدمـه زوجة

الملك ، والملك نفسه فى شغل شاغل عن كل أمور الدولة ، لا يهمه سوى أشباع هواياته الغريبة ، فهو مثلا يقضى معظم وقته فى صنع الأقفال ، ومحاولة فتح المستعصى على الفتح منها .. حتى لقد أشتهر بأسم " الحداد " ..؟!

وهو يعشق الصيد أيضا ويمارسه بين الحين والآخر .. حتى أنه عندما أندلعت الثورة فى باريس .. كان هو فى رحلة صيد ..

أمرأه يهملها زوجها ، ويبدى اهتماما أكبر (بالأقفال) فأنى لها برجل يهتم بها !! .. وسيدات ساقطات .. ورجال فقدوا روح الرجولة والشهامة ..

كل ذلك خلق من مارى أنطوانيت تلك المرأه التى عرفناها .. ملكة بعيدة عن شعبها - رغم أنها تحبه - ، ملكة يكرهها الشعب من كثرة ما سمع عنها وعن فضائحها المزعومة .

.. ملكة أطلق عليها الناس لقب " النمساوية " .

وكان هذا اللقب يحزن قلبها .. فالشعب لا يريدها ويقيم بينه وبينها مثل هذا الحاجز الذى يفصل الدولتين .. فرنسا والنمسا ...

والشعب لا يحبها .. ورجال البلاط يتآمرون عليها .. والكلمات اللاذعة تصل أحيانا إلى آذانها .. والاتهامات المبتذلة تطل من سطور الرسائل التى تصلها بدون توقيع ..

إذا صلت قالوا .. صلاة الذئب .. منافقة مضللة ..

وإذا بكت فدموعها هى دموع التماسيح ..

إذا ابتسمت فابتسامتها تبذل واستهتار ..

أى حياة هذه ؟.. بل أى جحيم تصلى مارى بناره !!.

.. وبثت مارى شكواها فى رسالة كتبتها إلى أخيها جوزيف الثانى بالنمسا.. تقول فيها .

" كم من التهم ألصقت بى ، يقولون أننى أنا التى أحرك الملك وأسيره وما علموا أنه لا يطلعنى على شىء " ..!!..

" أتحسب يا أخى أن لى على الملك نفوذا فى الشئون السياسية . ؟ إنه لا يكاد يتحدث إلى فى شئ ، قد يبلغنى الأمر عفواً فإذا سألته لم أظفر منه إلا بإجابات مبتسرة ، مقتضبة ، وإذا لمته على الكتمان لم يزد على أن يقول : لقد غاب عنى أن أخطرك بذلك ولكننى لم أتعمد الكتمان "

" ووزراؤه يتحاشون إطلاعى على شئ .. وهم الذين يحذرون الملك من الإفضاء إلىّ بما يعلم .. إنى أعيش ملكة اسماً فقط "

" قد تكون هذه المكاشفة .. يا أخى - منطوية على المساس بكرامتى ، ولكنها الحقيقة .. الحقيقة السافرة "

.. فى هذا الجحيم كانت تعيش مارى أنطوانيت ..

منبوذة .. مضطهده ، وحيدة لا تلقى من أحد حنانا .. لا أصدقاء حولها.. سوى صديقتها الحميمة مدام دى لامبال .. وصديقها القديم دى شوازيل .. وكأن الأقدار تأبى لها أى قدر من السعادة .. فيموت هذان الصديقان الحميمان .. مدام لامبال .. والدوق دى

شوازيل ..

.. بعيدة عن بلادها .. لاتجد صديقاً فى فرنسا .. محاطة بالأعداء من كل جانب .. وهؤلاء يكيدون ، ويدسون ، ويفترون الأباطيل ..

ووسط كل هذه المتناقضات .. كان ولابد أن يخفق قلب الملكة الشابة.. الباحثه عن الحب .. والأمان والطمأنينة والاخلاص وغير ذلك من العواطف الطيبه .. ولا تعلم هل ساق لها القدر ذلك الحبيب الجديد .. أم كان هذا إعداداً جيداً لفضيحة جديدة خططت لها إنجلترا..

سواء كان القدر .. أو إنجلترا .. فقد ظهر الكونت " فرسن " فى حياة مارى أنطوانيت ، وسرعان ما تطورت الأمور ، وأحبت الملكة الكونت الشاب .. وأتخذته عشيقا .. كان لقاؤها الأول به فى أحد القصور التى تدار للميسر حيث اعتادت أن تختلف إليه مع نفر من النبلاء والأصدقاء وكان الكونت فرسن شابا ، وسيماً ، فى حديثه فتنه ، وفى كلامه عذوبه هتف لها قلب الملكة المحرومة .. كان سويدى الجنسية جاء إلى فرنسا لعمل لن يستغرق أكثر من أسبوعين أو ثلاثة .. ولكنه ، وبسبب هذا الحب الجديد قدم طلبا ليلتحق بالجيش الفرنسى حتى يمكنه أن يبقى قريبا من محبوبته الملكة ..

بعض الناس قالوا إنه كان مجرد صديق حميم للملكة .. وأخرون يقسمون بأنه عشيق جديد لها .. فكثيرا ماراوه يختلف إلى قصر

"تريانون" الذى تقيم فيه الملكة وحدها .

وحين مات (فرسن) وصارت مذكراته ملكا للتاريخ ، وجدت سطور منها ممحوة وكان فيها سياق الحديث عن مارى أنطوانيت ، فلم محيت هذه السطور ؟ وما الذى كان فيها عن الملكة ؟

أكان فيها ما يزيد عما قيل من أنهما كانا عشيقين ؟

.. ومهما يكن من الأمر ، فقد استغلت انجلترا هذه العلاقة وراح جواسيسها وأعداء الملكة وعلى رأسهم دوق دورليان - ابن عم الملك - يذيعون أن فرسن عشيقها ويحيكون الدسائس والمؤامرات ويؤلبون الشعب ..

* * * *

الفصل الثالث

عقد الملكة

أجال الشعب بصره فيما حوله فلم يجد من يحفل به !

على العرش ملك أسلم الحكم إلى وزرائه وراح يصرف الشطر الأكبر من وقته فى إشباع هوايته .. يصنع الأقفال !

وفى منصة الحكم وزراء لاهم لهم إلا إقامة مجدهم الشخصى ولو على حساب الشعب ..

والملكة ..!؟ إنها نمساوية لا تجرى فى عروقها دماء فرنسا ومهما قيل عن حسن نواياها ، ومهما قيل فى إخلاصها لفرنسا فما تحل بالبلاد نكبة إلا قيل :

– هذه النمساوية هى السبب فى هذه النكبة .

وبدأت بذور الثورة ..

أولا .. ضد هذه الملكة النمساوية التى أرتقت عرشا ليس لها الحق فى إرتقائه ..

ثم ضد هؤلاء الوزراء الذين لا يحفلون بالشعب ..

وأخيرا ضد الملك الذى عين الوزراء ، واقترنَ بالنمساوية ..

تصايح القوم من كل مكان :

– الحرية .. نريد الحرية ..

بدأت الصيحة خافته .. ولكن سرعان ما سمعها العالم أجمع ..

كانت الملكة تحب الجواهر .. كما تحب الزهور والحدائق ، على جيدها الغض تتألق الماسات وتزيدها شبابا .

وكان الملك مفتونا بها .. يريد أن يغمرها بالجواهر ..

ومع ولعها بذلك ، ورغبة الملك فى إرضاء زوجته .. استطاع المخربون أن يدبروا مؤامرة جديدة ..

.. جمع " بوهمر " جوهرى القصر ماساته الثمينه النادرة ومضى بها إلى الملك وقال حين قابله :

– لقد جمعت الماسات النادرة من أطراف العالم ونظمتها قلادة لجلالة الملكة .

أخذ لويس القلادة من " بوهمر " وذهب بها إلى زوجته ، فأراها إياها وهو يقول :

– أننى أريد أن أبتاع هذا العقد لك ..

كان وجهها مشرقا ، كانت باسمه ولا تتمنى إلا أن تزين جيدها بهذه القلادة النادرة ولكنها هزت رأسها فى لطف وقالت رافضة :

– إن الأخطار تحدق بنا من الخارج .. فلنشتر بما لدينا من مال باخرة حربية نواجه بها أعداءنا فى الخارج .

فابتسم الملك وقال :

– سنبتاع الباخرة والعقد معا ، ولكننا سنبدأ أولا بالعقد .

ولكنها أصرت على الرفض ، وأسرعت إلى قاعة أخرى والملك فى أثرها يجرى والعقد فى يده هتفت به : حذار أن تقع حبة منه .

ونفذ صبرها أمام الحاح زوجها فقالت :

– إذن .. أبعث لى ببوهمر لأتحدث إليه فى الأمر .

ودخل عليها بوهمر ، فأدرك من قسمات وجهها أنها مبيته النية على رفض العقد جثا أمامها وراح يتوسل :

– إذا رفضت جلالتك العقد كان فى ذلك خرابى والقضاء على تجارتى .

فقالت الملكة : – ولكننى لم أعهد إليك بشراء هذا العقد لحسابى .. وانت تعرف ذلك يامسيو بوهمر .

وأخذ الرجل يبكى ويولول : زوجتى وأطفالى أصبحوا فقراء ..

ورق قلب الملكة له ، وقالت :

– هذا رأيى النهائى ولن أرجع عنه .. أنا لا أريد هذا العقد يا بوهمر أنثر حباته كما كانت وبعها فرادى فلا تخسر شيئا ..

ثم صرفته من حضرتها ، وتحولت إلى وصيفتها مدام دى كامبان وهى تقول:

– أنه مجنون .. لن أستقبله مرة أخرى ..

ولكن مدام دى كامبان قالت لها :

– لقد رأيت بعينى خطاباً فى محلات بوهمر جاء فيه أن الكاردينال روهان أمين الخزانه هو الذى أوصى بشراء العقد بأسم الملكة ، والخطاب مذيل بتوقيع جلالتك .

فصاحت الملكة فى أنفعال :

– الكاردينال دى روهان .. أننى أمقته وأزدريه ، إنه عدو لدود .. لابد أن أشكوه إلى الملك ..

عندما نطقت مارى أنطوانيت بهذه الكلمات لم يدر بخاطرها أن العقد هو وليد مؤامرة واسعة النطاق للإساءة إليها فى نظر الشعب..

مؤامرة دبرها الإنجليز بمساعدة دوق دورليان وأعوانه من الوزراء ، أرادوا أن يجعلوها تبدو فى نظر الشعب مسرفة مبذرة تنثر المال على الماسات والجواهر فى الوقت الذى تحتاج فيه البلاد إلى باخرة حربية تدرأ عنها الخطر .

بل قيل أكثر من هذا .. قيل أن هذه النمساوية التى اعتلت عرش فرنسا تتعمد إضاعة المال فى الترف حتى تذهب فرنسا طعمة للإنجليز إذا غزوها ولم يجد أسطولهم باخرة حربية تردهم عن الشاطئ الفرنسى هكذا رددت الأفواه ...!

وأمن الشعب بما أذاعه الجواسيس .

وفى الوقت الذى تناثرت فيه الإشاعات القاسية كانت مارى

أنطوانيت تبعث إلى أخيها برسالة تقول فيها :

" ترى هل أنتهى إلى سمعك نبأ هذا الكارثة التى حلت بالكاردينال دى روهان ؟

لقد أوصى الكاردينال باسمى على عقد من الماس وقد دفع ثمنه فعلا من الخزانة العامة ولما أنتهى إلى الأمر ثبت أنى لم آمر الكاردينال بشراء العقد وأن الرسالة التى جاءت مذيلة باسمى إنما كانت مزورة ..

وهكذا دفع الكاردينال مليونى فرنك ثمنا للعقد فى وقت تحتاج فيه البلاد إلى كل فرنك لديها لتنفقه على التسليح ، والأدهى من ذلك أن العقد- بعد دفع ثمنه - لم يصل إلى يدى ، ولم يرسل إلى..! فقد ثبت أيضا أن التى حملت رسالتى المزوره إلى الكاردينال فتاه مغامرة تدعى "الكونتس دى فالوا" وقد قبض عليها وزج بها إلى السجن وهى التى زورت أمضائى غير أنها لم تتقن التقليد ، فكان غريباً أن تجوز هذه الخدعة على الكاردينال إلا أن تكون له غاية معينة من وراء الإستسلام إلى هذه الخدعة الظاهرة ..!!

وفى رسالة أخرى كتبت تقول :

" .. وقد ثبت أيضا أن الأفاق كاليسترو زوج دى فالوا كان شريكها فى هذا التزوير ويقال أن الكاردينال كان على أتفاق سرى معهما .. وستتم المواجهة اليوم أو غدا .. وسأرى ما يقول كل منهم فى مواجهة صاحبه ..!! .

مؤامرة دنيئه نسجت خيوطها ببراعة حول الملكة المسكينة .. وتولى الملك التحقيق فيها بنفسه ..

دعا إليه الكاردينال روهان وقال يسأله :

- من الذى عهد إليك ياسيدى بأن تبتاع عقدا لملكة فرنسا ؟

فقال الكاردينال مجيبا :

- الآن أدركت يامولاى أننى قد خدعت .

- ومن الذى حمل إليك أمر الملكة بشراء العقد .. ؟

- سيدة تدعى الكنتس دى لاموت فالوا .. وقد قدمت إلى خطاباً مذيلا بتوقيع جلالتها فتوليت هذه المهمة بنفسى وأنا أرجو أن تكون وسيلتى إلى التقرب من الملكة .

فقاطعته الملكة فى انفعال ، وكانت جالسة بالقرب من الملك .

- كيف يخطر ببالك ياسيدى أننى أعهد إليك بمثل هذه المهمة وأنا التى لم أتحدث إليك مرة منذ حللت بهذا القصر .. وهل يخطر لك ببال أن اتخذ من أمين خزائن فرنسا منفذا لإرادتى كلما أردت أن أشترى عقدا !!؟.

فقال الكاردينال : لقد تبينت الآن ياصاحبة الجلالة أننى خدعت خديعة كبيرة وسأدفع ثمن هذا العقد من مالى الخاص ويبدو أن رغبتى فى إرضاء جلالتك قد أعمت عينى فلم أفطن إلى أن التوقيع مزور مدسوس ..

وبيد مرتعدة أخرج الكاردينال من جيبه رسالة الملكة المزورة المذيلة بهذا التوقيع : مارى أنطوانيت ملكة فرنسا .

ألقى الملك نظره سريعة على الرسالة ثم قال :

– ليس هذا خط الملكة أو توقيعها ، وكيف يخدعك هذا التوقيع وانت تعلم أن الملوك لا يوقعون بأسمائهم كاملة ، وإنما يكتبون الاسم العائلى فقط ؟! .

ولبث الكاردينال صامتا وقد أفحمته هذه الحجة .

وتناول الملك من الدرج صورة الخطاب الذى كتبه روهان إلى محلات بوهمر وقال :

– أتذكر أنك كتبت مثل هذه الرسالة إلى بوهمر ؟

– لا أذكر أننى كتبت هذا الخطاب يا صاحب الجلالة ؟

– وإذا أتيناك بالأصل ؟

– إذا كان يحمل توقيعى فأنا كاتبه بلا ريب .

– هل لك أن تفسر لى هذا اللغز .. ؟ أنا لا أحب أن أجدك مذنبا ولكننى أريد أن أنصفك ..

فأستند الكاردينال إلى المائدة وقال :

– مولاى .. إننى شديد الاضطراب وليس فى إمكانى أن أقدم إلى جلالتك جوابا قاطعا .

فقال الملك :– حسنا .. سأمنحك وقتاً تستعيد فيه هدوء أعصابك

.. أدخل إلى مكتبى وأكتب ماتشاء فأنا أعلم أن وجودى ووجود جلالة الملكة قد يبعثان فى قلبك شيئا من الإزعاج ..

وبعد ربع ساعة عاد الكاردينال إلى حيث كان الملك فى أنتظاره وقدم إليه اعترافه ؟.

ألقى الملك نظره على هذا الأعتراف .. ثم قال :

- ينبغى أن أخطرك ياسيدى بأننى سآمر بالقاء القبض عليك .

فصاح الكاردينال وهو يرتعد :

مولاى .. أأعتقل على مرأى من البلاط وفى ثيابى الكهنوتيه ؟

- هذا لامفر منه ..

وكانت هذه هى أول مرة يقدم فيها الملك على عمل من هذا القبيل مدفوعا بحبه لزوجته التى جعل هذا الحادث من اسمها مضغه فى الأفوُاه ..

.. بدأت أركان المؤامرة تتكشف تباعاً فى نفس الوقت الذى كان فيه أهل باريس على علم بكل مايجرى خلف الجدران ، وفى الطرقات كانت الجموع المحتشدة تترقب قرار الملك النهائى فى هذه القضية العجيبة .

.. تجلت الحقيقة تبرىء الملكة .. فهى لم تقابل الكاردينال مطلقا ..

.. ولم تكن لها معرفة بالمحتالة .. الكونتس دى لاموت ..

.. وما مست يدها فى يوم من الأيام هذا العقد الماسى ..

وقد قال المؤرخ الألمانى استيفان ذويج والمعروف بعدائه للملكة :

" إن الملكة بريئة ، لقد أدمجت دون علم منها فى هذه الفضيحة المخجله، وقد كان اسمها ألعوبه فى يد حفنة من النصابين .. والمحتالين والبلهاء"

.. وبدأت المحاكمة ..

كانت محاكمة علنية حضرها الألوف من أبناء الشعب .

جاءوا بأفكارهم المسمومة عن الملكة .. رغم ما أسفرت عنه التحقيقات، حضروا وهم على قناعة تامة بأن الملكة قد أمرت فعلا بشراء هذا العقد فى الوقت الذى تحتاج فيه البلاد إلى باخرة حربية..

دعى المتهمون إلى الأدلاء بأقوالهم ولزم أغلبهم الصمت ، ومن تكلم منهم كان فى أعترافاته يعمد إلى الإبهام والغموض والإحتماء وراء الألفاظ المرنة المطاطة ..

لقد وعدهم الدوق دورليان (المخطط الحقيقى لهذه المؤامرة) بالعفو إذا التزموا الصمت ، وهكذا أعتقد الجمهور أن للملكة ضلع فى تأييد هذه العصابة وأن المتهمين مالزموا الصمت إلا لأنهم قد تلقوا وعداً بالعفو ، ومن يملك حق العفو غير الملكة .. إذا فقد كانت شريكة لهم ..

بهذا التعليل المنطقى حكم الشعب على الملكة ..

وزاد الأمر خطورة أن المحلفين قرروا بأغلبية الأصوات أن الكاردينال روهان "غير مذنب"!!.. وهذا معناه أن الملكة هى المذنبة ..

وكان هذا هو أول حكم يدفع الملكية إلى الفناء ..

كان أول مسمار فى نعش الأسرة المالكة .

وبكت الملكة حين عرفت أن المحكمة قد برأت الكاردينال روهان .

وخرج الكاردينال من دار المحكمة .. تهتف الجماهير بأسمه ..

أما الكونتس دى لاموت فقد كان الحكم عليها بالحبس والجلد علانية ومع كل سوط ينهال على بدنها ، ومع كل صرخة تنطلق من بين شفتيها وهى تجلد .. كان عطف الجمهور عليها يزيد ويقوى ..

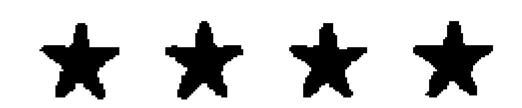
ورددت الأفواه ..

ما كان ينبغى أن تجلد الكونتس .. وإنما كان ينبغى أن تجلد اليد المحركة فما الكونتس إلا أداة طيعة بين يدى "النمساوية"

.. وبمساعدة أصدقائها من ذوى النفوذ .. استطاعت الكونتس دى لاموت أن تهرب إلى انجلترا حيث غمرها البوليس الأنجليزى بحمايته .. وبذهبه ، ومن أنجلترا راحت الكونتس تصدر النشرات ضد مارى أنطوانيت ..

.. نشرات تجعلها مثالاً للابتذال والاستهتار .. تصورها فى أقبح الصور وترميها بأفظع الصفات .. وتصل هذه النشرات إلى أيدى الشعب الجائع الذى كان يقول :

– أن الملك يفرض علينا ضريبة جديدة كلما احتاجت النمساوية إلى شراء شئ جديد .



الفصل الرابع

إلى الهاوية !

كانت الحالة المالية لفرنسا تسوء يوما بعد يوم ، الشعب يعانى الضنك ويشكو وطأة الضرائب الثقيلة وهو يؤمن فى الوقت نفسه ، إيمانا أعمى بأن الحكومة تسرف إسرافاً لامبرر له ، وأنها تمتص دماءه دون داع !!

وكانت الملكة - فى نظر الشعب - هى المسئولة عن هذا الإسراف .. فهى تبعثر الأموال هنا وهناك كى يزدادوا هماً وفقرا وحاجة ..!!

وما غاب عن الملكة ما يعتقده الشعب فيها ..

قالت للملك يوما :

- سأعمد إلى الاقتصاد فى ميزانيتى لأبرهن للشعب على أنى أشاطره أزماته المالية ..

ولكن الأشاعات والإتهامات لم تنقطع لحظة واحدة ..

وأقبلت على الملك تقول وهى تبكى :

- وما عساى أن أفعل أكثر من هذا ؟..

وأجابها الملك - لست أدرى .. ووزيرماليتى نفسه لايدرى !؟

كان الملك شديد الرثاء لزوجته ، يعرف أنها ممقوته من الشعب ، ويريد أن يتلافى أسباب هذا المقت فلا يجد سببا معينا معروفا ..

وإنما يجد أشاعات أرتدت ثوب الحقيقة .

.. وتوالى العـجز فى الميزانيـة .. حتى إذا كـانت سنة ١٧٨٩ لم يدّ
هناك مفـر من تقسيم أراضـى الكنيـسة والنبلاء وإعادة توزيعـها م
جديد تخفيفا لوطأة الأزمة المستحكمة ..

وعلى الرغم من أراء الحاشية المعـترضة .. أشارت الملكة بضرور
إجراء هذا التقسيم رغبة منها فى إكتساب محبة الشعب ..

لكن هذه الخطوة الجريئة من جانبـها أثارت ضدها طائفتى رجا
الدين والنبلاء ، فراحوا يهاجمونها فى عنف .

.. ولكن الملكة لم تأبه لهـذا .. بل كانت تصر على منـح الشعب المزيـ
من الحقوق والحريات .. لتصـبح بذلك محصورة بين عدوين لدودير
.. الشعب الذى لا يصدق كلامهـا عن الإصلاحات والحريات الجديد
،والأشراف الذين يسمعونها تنادى بإعادة توزيع مـمتلكاتهم ..

وفى يوم ٥ مايو ١٧٨٩ أجتمع فى قصر فرساى مـمثلو الطبقات
الثلاث.. رجال الدين ، والنبلاء ، وأفراد الشـعب ، وكان هذا الأجتماع
تلبية لدعوة الملك لويس السادس عشر الذى ترأس الأجتماع بنفسه ..
وكان الغـرض من هذا الجمع هو مناقـشة المقـترحات الجـديدة التى
ستحقق العدل لأهل فرنسا كلها .. ومع أن الملكة كانت صاحبة الفضل
فى هذه الأصلاحات الجديدة إلا أنها قوبلت وهى فى طريقها لحضور
الأجتماع بسيل صاخب من الهتافات المعادية ..

ظلت طيلة الأجتماع حزينة .. تلوذ بالصمت ..

كان أبـنها طريح الفـراش .. يعانى سكرات الموت ولكنهـا أبت أن تبقى بجانبه وأصرت على حضـور الأجتماع الذى فشل بسبب تمسك كل طبقه برأيها ..

.. وعلى أثر ذلك الإجـتماع الفـاشل .. لحق الملك بزوجتـه فى حدائق قصـر تريانون ، حيث وجدهـا صامتـه .. سـاكتـه على وجههـا حزن دفين .

أقبل عليها يسـألها عما تفكر فيه فقالت :

– كنت أظن أننا سنظفر بتأييد الشعب ومحبته فى هذا الإجتماع..

– وما رأيك ؟..

– يجب أن نتصل بأحد زعماء الشعب المحبوبين ، فلنتصل بميرابو خطيب الشعب ..

– إنه وسـواه من الزعمـاء يخشـون الإتصال بنا كى لا يتـهمـهم الشعب بالخيانة .

– هذا يتوقف على طريقـة الإتصال .. أنها مسـألة كياسة ولـباقة سأتكفل أنا بهذا الأمر .

فقال الملك :– والآن .. هيا بنا إلى ولدنا فقد حرمنى هذا الإجتماع من التفكير فيه ..

.. كـان المسكين راقداً عـلى الفراش ، هزيلاً نحـيـلاً كأنه شـبح من

الأشباح .. فى وجنتيه ذبول الموت ..

ركعت مارى أنطوانيت إلى جـوار الفراش وفى يد مرتعـده أخذت بيد زوجها ووضـعتها فى رفق على جبين الغلام المريض .

كان جبينه ملتهبا ..

أجفل الملك وفى صوت مختنق قال :

– رباه .. وماذا قال الطبيب ؟.

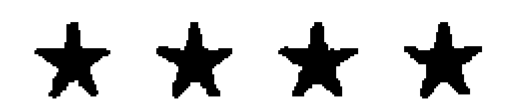
– طلب منى أن أكون شجاعة .. وأن أتزود بالصبر ..

.. وفاضت عيناها بالعبرات وقالت مستطرده :

– فلنصل معا .. من أجله ..

وجثا الملك إلى جانبها .. بجوار فراش الصبى المحتضر ..

.. الآن هى أم تكاد تفـقـد ولدها .. لا العـرش ولا اللقب ولا المجـد أو الأبهة أمام حياة هذا الوليد العزيز ..



وفى يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ .. أقتحم ثوار باريس الباستيل .. وفى اليوم نفسه أيضا كان الملك لويس السادس عشر قد خرج للصيد ..

وفى الوقت نفسه الذى سلم فيه (لوناى) محافظ الباستيل السجن الرهيب للثوار ..

كان الملك يغط فى نومه بعد رحلة الصيد المنهكة طوال اليوم ..

.. أسرع ياوره الخاص (الدوق روشفكولا يانكور) يوقظ الملك من نومه بعد وصول نبأ إستيلاء الثوار على الباستيل ، وعندما أستيقظ الملك وسمع تلك الأخبار المزعجة من ياوره .. سأله :

– أنها فتنه .. أليس كذلك ؟.

فأجاب ياوره :– لا ياسيدى .. إنها الثورة ..

.. وفى هذه اللحظة أقبلت الملكة واستمعت إلى بقية الحديث وهى بادية الشحوب والأنفعال .. ثم قالت لزوجها بعد إنصراف الياور .

– هذا نبأ جديد .. فما الذى تنوى فعله أمام هذه المشاغبات ..؟

فقال الملك :– هذا من شأن البرلمان .. لقد انبأنى روشفكولا أن البرلمان على علم بما حدث وأنه تباحث فى هذا الشأن وأصدر قرارات خطيره لا تزال فى طى الكتمان .

فابتسمت الملكة ابتسامة باهته وقالت :

– أيكون البرلمان قد قرر مثلا اقصاءك عن العرش ؟ .

– كلا بالطبع .. ومثل هذا القرار لا يمكن أن يكون قابلاً للتنفيذ.

– وماذا ستفعل هل سننتظر حتى يحضر الغوغاء إلى القصر لانتزاعنا منه ثم يقطعون رءوسنا ويطوفون بها فى الطرقات مرشوقه فى أسنة الحراب كما فعلوا مع (لوناى) المسكين ؟.

– لن يصل الأمر إلى هذا الحد ياعزيزتى .. وما حدث ل (لوناى) إنما كان حادثاً فرديا شاذاً ..!!

– أتوسل إليك أن تفعل شيئا .. لقد بدأت الأضطرابات والتمرد ولكن بعض فرق الجند مازالت تحت أمرتك وهى مدججة بالسلاح فأصدر لها أمرا بإخماد الفتنه .

فصاح الملك :– أتريدين أن أريق دماء فرنسية .. أطلق فرنسيا ضد فرنسى ؟!

فقالت الملكة :– ولكن هاهو الدم الفرنسى يراق فعلا فى الطرقات .. فإذاً لم تتدخل بعمل حاسم تضاعفت عمليات إراقة الدماء ، وكثرت الأرواح التى تزهق .

كان لويس السادس عشر مصراً على عدم استخدام القوة ضد شعبه .. فهو لا يعتقد أن الشعب ثار ضده .. فالشعب يحبه ويحترمه .. كما أن الملكية حق مقدس يبجله كل فرنسى يدب على أرض فرنسا ..

.. ولكن الأمور تزداد سوءاً .. والإضطرابات تعم باريس كلها ..

وفى يوم ١٦ يوليو عقد الملك مجلساً لوزرائه حضره شقيقاه وزوجته مارى أنطوانيت لبحث الأمر .

.. كانت مارى تحبذ لجوء الأسرة المالكة بأكملها إلى مقاطعة ميتز حيث يمكن منها تنظيم ثورة مضادة لثورة باريس بمعونة الحلفاء من الداخل وخارج فرنسا .

أما أرتواه شقيق الملك فقد قرر النزوح هو وأسرته إلى خارج فرنسا فكان بذلك أول المهاجرين منها والمهاجرون لقب أطلقه الثوار على أعداء الثورة فى الخارج .. من الفرنسيين .

.. أما الملك فقد استمع إلى نصيحة وزير الحرب (بروجلى) الذى أشار عليه بمهادنة الثوار ومصالحتهم ..

وفعلاً .. ذهب يوم ١٧ يوليو إلى العاصمة حيث استقبله (بايلى) الذى اختاره الثوار عمدة لمدينة باريس ، وسلم اليه مفاتيح المدينة ثم اصطحبه بعد ذلك إلى مقر العمدة حيث قدم إليه (لافاييت) قائد الحرس الوطنى شارة الثورة (الكوكارد) وبها ألوان علم فرنسا الجديد وهى ألوان الأحمر والأزرق والأبيض ، تسلم الملك الشارة من لافاييت وثبتها فى قبعته ثم تحدث إلى المجتمعين قائلاً :

– على شعبى أن يعتمد دائما على حبى له .

وصاح الباريسيون فى حماس : عاش الملك .. عاشت فرنسا .

وبهذا تم الصلح بين الملك وشعبه .. وبدا من الواقع أن الملك قد قبل الثورة .. أى أعترف بها .

كإجراء للأمن قام لويس السادس عشر باستبعاد فرقة من فرق الجيش عرفت بولائها الشديد له وهى فرقة (الفلاندر) وفى يوم أول أكتوبر عام ١٧٨٩ أقام ضباط الحرس الملكى حفل عشاء لهذه الفرقة بقصر فرساى وقد حضر هذا الحفل الملك لويس السادس عشر وزوجته مارى أنطوانيت .

.. وفى اليوم التالى كتبت إحدى الجرائد تصف مادار فى ذلك الحفل ، وكيف أن الضباط قد رفضوا أن يشربوا (نخب الأمة) أمام الملك ، وما تفوهت به السنة المحتفلين من عبارات السباب والإهانة لزعماء الشعب وكيف داسوا بأقدامهم شارة الثورة ..

.. وتناقلت الألسنة ماجاء بالجريدة .

ثارت باريس من جديد فما حدث فى الحفل يعتبر إهانة بالغة ، الشعب جائع لايجد الخبز ، والملك وزوجته النمساوية وضباطه يقيمون حفلا باذخا ليسبون فيه الثورة ..

وفى صباح يوم ٥ أكتوبر من العام نفسه .. خرجت نساء باريس فى مظاهرة عارمة متجهين إلى فرساى وفى أيديهن شتى أنواع الأسلحة وكل مايصلح للقتال من سكاكين وهراوات ومناجل وغيرها .

مسيرة رهيبة قوامها نساء باريس الجائعات ، الباحثات عن خبز لأطفالهن وكان (لاكلو) صديق دوق دورليان ومستشاره الخاص قد أوفد إلى فرساى فريقا من الفتيات الجميلات ليقضين السهرة مع

رجال فرقة الفلاندر يقدمن إليهم من الشراب مايسكرهم ومايجعلهم عـاجـزين عن الدفـاع حـتى يسـهل على الثـائرين تطويق القـصـر ومـهاجـمة غـرفة الملكة .. فنحن نعلم مـدى الحقـد الذى يكنه دوق دورليان للملكة .. فى الواقع .. لقـد كان الدوق يحبـها، ويشتهـيها .. ولكنها كانت تتـجنبه وتتفادى الأنفراد به .. فـهو فى نظرها شخص مقيت لا أمان له ..

.. كانت الملكة فى قـصر تريانون حـين جاءها رسول بنبـأ وصول النساء الثائرات إلى قصر ڤرساى ..

ودخل وفد قوامه عشرون إمرأه من النساء المتظاهرات إلى القصر وطلبن مـقـابلة الملك .. وعندمـا سـمح لهن لويس السـادس عـشـر بالدخول سألهن عما يردن فكان جوابهن : الخبز ..

فقال لويس : أنكن تعـرفن طبيعتى جيدا ، سيكـون كل مافى ڤرساى من خبز بين أيديكن فورا .

.. عاد الوفـد إلى الجموع المنتظره بـالخارج وأخبـرهن بما قاله الملك ولكن بقـية النسـاء أتهمت الوفـد بالخوف ومهـادنة الملك .. لذا فـقد قررن عدم مبارحة ڤرساى وقضاء الليل أمام القصر ..

.. وفى الوقت نفسه كان الملك يفكر فى وسـيلة للخروج هو وزوجته من ذلك المأزق ..

والنسـاء فى الخارج يصـحن : نريد الخبـاز والخبـازة وصبيـهم .. يقصدن الملك والملكة وولى العهد ..!!

وتصاعدت الصيحات :- لن نرحل إلا بعد أن نرى الملكة ..

وقال صوت أخر : بل نريد منها أن تطوف علينا بأقداح الشمبانيا .

وقال ثالث :- لن نسمح للملكة بالرحيل إلا بعد أن تسقينا الخمر بيديها ..!!

.. وارتفعت الأصوات :- ولن نسمح للملك .. لن نسمح لأحد بالخروج من هنا .. وانقض نفر من المتظاهرات وشققن وسائد المركبات بأسلحتهن وقطعن أعنة الخيل .

وأيقن الملك من أستحالة الفرار ...!

وانقض الرعاع بعد ذلك على مخازن المئونة والخمر فأصابوا ماشاءوا من الطعام والشراب ثم انكفأوا على الأرض يترنحون .

.. - نريد الملكة .. نريد أن نرى الملكة .

أشتد الهتاف ليصل إلى أسماع الملك والملكة فى الداخل .

.. وصعد لافاييت قائد الحرس الوطنى إلى مقابلة الملكة وقال لها :

- أنى أحاول أن أصد الشعب عن القصر ، ولكننى سأتخلى عاجلا عن هذا الدفاع والا فتكوا بنا والرأى عندى أن تظهرى فى الشرفة ردا على نداء الشعب .

- فليكن إذن .

.. وأخذت طفليها بيديها وخرجت إلى الشرفة .

كانت جميلة فاتنة ، وكان لمنظرها أثر عميق فى نفوس الشعب ..

وأرتفعت أصوات :– فلتحيا الملكة .

وأصوات أخرى :– الموت للملكة .

ووسط كل هذا الصخب صاح لاكلو اللعين :–

– فليذهب الملك إلى باريس .

وتلقت الأفواه صيحته .. ولم يجد الملك بدا من تلبيه رغبة شعبه .

ووسط جنود الفلاندر .

وجنود الحرس الوطنى أمامه .

وأهل باريس من النساء خلفه .

سار المليك وعائلته معه إلى باريس .

.. وفى الأسماع تتردد صيحات الثائرين وهم يغنون أغنية شائعه فى ذلك العهد !

" عند الخباز جنيهات "

" وقد رأيتها بنفسى وبصرى "

" عند الخباز جنيهات "

.. وفى قصر " التويليرى " نزل الملك لويس السادس عشر وعائلته..

وكان كل ما حدث يوحى بأن الملك قد أصبح أسيراً بالفعل لدى شعب باريس .. وأنتهى الأمر !!!

★ ★ ★ ★

الفصل الخامس

محاولات يائسة ..

الملك والملكة فى قصر التويليرى أشبه بالسجينين ، تحت رحمة الثورة ورحمة أعدائهما الأقوياء وعلى رأسهم الدوق دورليان ..

وبدأ الزائرون يتوافدون على القصر وكلهم من رجال المال والأعمال ، وكل يدلى بنصيحته .

كان من رأى مسيو بايى مثلا أن يهرب الملك وأسرته إلى الخارج لأن حياة العائلة المالكة نفسها مهددة من قبل الشعب .. وكان بايى هذا أحد أعضاء الجمعية الوطنية ويعرف تفكير زعماء الثورة وما يدبرونه .. ولكنه تلقى تهديدا من روبسبير بأنه سيفقد رأسه لو ساعد العائلة المالكة فى الهروب ، وعلى أثر هذا التهديد جاء بايى إلى الملك يقول :

– لقد تدبرت الأمر يامولاى فوجدت أن فرارك سيفضى إلى نتائج خطيره .

صاحت الملكة التى كانت تسمع :

– رباه .. كيف غيرت رأيك هكذا يامسيو بايى ؟

وبالطبع لن يقول بايى لها أنه خاف على رأسه أكثر من خوفه عليها.

.. وأشار بعض الناصحين بأن تعمد الملكة إلى القيام ببعض الأعمال الخيرية أستجلاباً لمحبة الشعب .

وقالت الملكة :- ولكن ليس لدينا مال نتبرع به .. لقد سلبونا كل ما نملك .

- بل لدينا ما وضعه بعض المهاجرين رهن مشيئة جلالتك .

.. وعمدت الملكة أولا الى إنقاص ميزانيتها الخاصة ، فأكتفت هى ووصيفاتها العشر بألفى فرنك فى الشهر لنفقات الطعام والزينة .. وهو مبلغ ضئيل بالطبع .

.. أما أنصار الملكة فقد أخذوا يبثون لها الدعاية فى باريس ويقولون أن الملكة قد قنعت بألفى فرنك وستنفق ما اقتصدته فى الأعمال الخيرية .

.. أبتاعت مارى أنطوانيت ثيابا بالآف الفرنكات ووزعتها على المرضى .. وفى فصل الشتاء قدمت ثياب الأطفال كاملة إلى ثلثمائة أم .. ولكن .. لم يعترف بفضلها أحد .

كلما أقدمت على خير أنقلب عليها شرا ، وكلما أرادت أن تستجلب رضاء الشعب لم تفلح إلا فى أثارة نقمته .

كانت الإشاعات تطبخ فى قصر الدوق دورليان ومنه تطوف أنحاء باريس فتؤلب الشعب ضد الملكة المسكينة .

قيل أنها تكاتب إمبراطور النمسا والمهاجرين ليؤلفوا جيشا

متحدا يهاجم باريس وأتى دوق دورليان برسائل مزورة نسبت إلى الملكة تؤيد هذه الإشاعات .

وراح لاكلو من ناحيته يهيج الجماهير ويدعو إلى مهاجمة قصر التويليرى كما فعلوا من قبل بقصر ڤرساى .

.. كان من الواضح أن الملك وأسرته فى خطر حقيقى .. وأمام هذا الخطر بزغ الأقتراح القديم .. ألا وهو الاستعانة بأحد زعماء الشعب .. ميرابو بالتحديد لمحاولة أسترضاء الشعب وتقريب الفجوة بينه وبين الملكة .

وحضر ميرابو إلى القصر .. وتولى الكونت (لامارك) الأمين مفاوضته..

قال ميرابو :- لكى أوقف تيار الثورة أريد أولاً سداد جميع ديونى .

فقال لامارك يسأله :- وكم تبلغ هذه الديون ؟

- يمكننا أن نقدرها بمليون ونصف من الفرنكات فإذا ماوفيتم هذا الدين أضمن لكم القضاء على هذه الثورة .. كما أنى فى حاجة إلى معاش أعتمد عليه عندما أعتزل الحياة السياسية بعد ذلك .

- وبكم تقدر هذا المعاش ؟

- تسعة آلاف فرنك شهريا .

..ومضى لامارك بشروط ميرابو إلى الملك ، والذى قبلها فى غير تردد قال لويس يسأل لامارك :

- ولكن ما الذى يضمن لنا أنه سيفى بوعده ؟..

- أنه يامولاى لن يتقاضى فى أول الأمر إلا قسطاً واحداً ثم تدفع باقى الأقساط تدريجيا بنسبة مايبدو من أثر جهوده إذ لا يمكن أن تعقد مثل هذه الصفقة كتابة على الورق .

ولكن ميرابو لم يتردد - لدهشة لامارك - فى أن يحرر وثيقه بهذه الصفقه وقال فيها :

" إنى أعترف فى غير تردد بأننى من أنصار الملكية .. وكل ما هنالك أننى نقمت على الملكية بسبب سوء إدارة الحاشية المحيطة بالملك - وأعترف بأن مارى أنطوانيت حسنة النوايا ، وما يتناثر حولها من إشاعات مكذوب أثارته دسائس أعدائها الشخصيين "

" لقد كنت طيلة حياتى من أنصار الملكية ، ونقمتى الحالية لاترجع إلى الملكية ذاتها وأنما إلى أولئك الذين يعملون بأسمها - والملك العادل هو خير من يصلح لحكم هذه البلاد "

" والآن وقد عرفت أن على العرش ملكاً صالحاً ، وملكة صالحة ينبغى أن أنادى بغير تردد بضرورة الأبقاء على الملكية وسأظل طوال حياتى كما كنت دائما خادم الملكية المخلص الأمين لأنى أعرف أن الملكية هى نصيرة الحرية الصحيحة فى ظل القوانين الصحيحة .."

.. وفى صباح يوم ٣ يوليو جاء ميرابو يزور الملكة .. وقد تمت

الزيارة سرا فى كشك بحديقة القصر وقد استقل ميرابو فى مركبة يقودها ابن أخيه ..

وكانت الملكة قد أستعدت لهذا اللقاء .. فقد سمعت عن ميرابو الكثير .. فهو خطيب الثورة المفوه وحبيب الشعب .. عملاق ضخم .. لاهم له سوى شرب الخمر ولعب الميسر .. وهو مع ذلك ينحدر من أصل نبيل ..

.. وجاءت الملكة لمقابلة ميرابو ..

.. وأرتعدت الملكة الحسناء .

.. وارتعد ميرابو .. الوحش .

أخذت مارى أنطوانيت الرعدة وهى ترى أمامها شخص ميرابو غول الثورة .. وكذلك أرتعد ميرابو ..

هذا الحسن غريب عليه .. أنه يرى أمامه أمرأه ضئيله الجسم أنيقة الثياب كأنها زهرة غضّة نضرة .. وهو الذى اعتاد مصاحبة النساء من عامة الشعب ذوات الأسمال الباليه والوجوه القذرة ..

– وتقدم الغول إلى الزهرة الرقيقة .

وبسط ذراعيه وحاول أن يضمها إلى صدره ويقبلها ولكن الملكة ردته بأشارة من يدها .

وجمد الوحش فى مكانه ، واحترمها ، ونسى فى هذه اللحظة أنهم قد أشتروا ذمته ووطنيته فراح يتحدث عن الملكية وإخلاصه لها

وكانت نبرات صوته متهدجة تنم على الإخلاص الشديد ، وكان يبدو صادقا فى كل كلمة ينطق بها .. ودمعت عينا مارى أنطوانيت .. هذا الرجل وحده هو الذى يستطيع إنقاذ زوجها وأطفالها جثت على ركبتيها أمام ميرابو وهى تبكى .. فصاح هذا فى أنفعال :

– سأنقذك يامولاتى .. وسأقتل نفسى إن لم أبر بوعدى هذا .. وأنفض اللقاء .. فماذا تم فيه ؟.. وهل مارس ميرابو عادته الدائمة مع النساء .. مع الملكة .. لا أحد يعلم .. ولكنها غادرت الكشك وهى شديدة الأضطراب !!!

.. أما ميرابو فقد تحول تحولا عجيبا بعد لقائه بالملكة !!

.. كان يملى على سكرتيره مقالات تنشر فى الصحف تشيد بالملكية .. ولم يكن يدع فرصة تمر إلا وتحدث بشأنها فى البرلمان ..

" الثورة هى الحرية .. ولكن الثورة هى الإنسانية أيضا ، وهى الإخلاص والوفاء ، وأنها لجريمة أن تلوث الدماء هذه الثورة الطاهرة ، فلتبق ثورتنا نقية بريئة ، ما أعظمه مجدا لفرنسا حين يقال أنها كانت ثورة هزت العالم دون أن تراق فيها قطرة دماء ظلما .. "

.. هكذا انقلب ميرابو إلى أكبر مدافع عن حقوق الملكية المهددة فى فرنسا ، معتمداً فى ذلك على مواهبه الخارقه التى تجعل الأذان تستمع إليه مشدوهة.. وعلى الأسرار الكثيرة التى يعرفها عن زعماء الثورة الآخرين .. والتى جعلته يخسرهم رغم ما تناقلته

الشائعات عن اتفاقه مع الملكة ومقابلتـه لها .. كان حقا " رجل بسته رجال " كما وصف نفسه ..

ومات ميرابو ..

وفقدت الأسرة المالكة صـوتا مؤيداً ومؤثرا بين الشعب الذى يكن لها كل العداء .

قالت الملكة : الآن لم يعد لنا رجاء .. وينبغى أن تسعى إلى وسيلة أخرى ..

.. وفى هذه المرة .. لجأت الى صديقها الكونت .. فرسن .

قـالت له الملكة : لقـد صح عـزمى على الفـرار .. فهـو الوسـيلة الوحيدة للخلاص من هذه المحنة القاسية ..

فقال الشاب المحب فى حماسة :- وأنا رهن أشارتك يامولاتى ..

.. وبدأ الإعداد للهروب ..

.. وفى ليلة ٢٠ يونيـو عام ١٧٩١ غـادرت العـائلة المالكة قصـر التويليرى سرا .. ركب الجـميع عربة تجرها ستة خـيول قام فرسن بإعدادها ، كـان الملك متـخفيـا فى زى خادم .. أمـا الملكة فقـد كانت بحـوزتهـا أوراق - مزورة بـالطبع - تثـبت أنهـا إحدى النبـيـلات الألمانيات أما ولى العهد فقد أرتدى ملابس البنات كشقيقته !..

تركت العـربة باريس فى منتـصف الـليل تقـريبـا حـيث بلغت (شالون) فى صـباح اليـوم التالى وكان من المقـرر أن يكون هناك

بعض المناصرين للملك في انتظاره إلا أن العربة كانت تسير ببطء شديد مما جعلها تتخلف عن الميعاد المتفق عليه .. فأنصرف الرجال المؤيدون للملك وقد ظنوا أن خطه الهروب قد ألغيت .

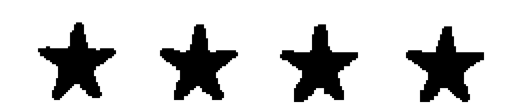
وفي الوقت نفسه كان هروب الملك وعائلته قد اكتشف في قصر التويليري وسرعان ما أذيع الخبر في البلاد كلها ..

كانت عربة الهاربين تسير ببطء شديد كما كان الملك غير حريص علي الإطلاق إذ أطل برأسه أكثر من مرة من نافذة العربة وفي بلدة (سان مينيهولد) تعرف أحد الجنود الشبان علي الملك ، وما أن ابتعدت العربة بضعة كيلومترات عن البلدة ، وفي بلدة (ڤارين) تم القبض علي الملك الهارب وأسرته التعسة ..!!

.. وفي صباح اليوم التالي حضر مندوبون من باريس لاستلام الأسرة الهاربة، وبدأت رحلة العودة إلي باريس وطوال الطريق كانت الجموع المحتشدة تصيح بهتافات عدائية ضد الملك وأسرته ، يسخرون منهم، ويبصقون ناحيتهم ..!!

وفي يوم ٢٥ يونيو عاد الملك إلي التويليري وسحبت منه كل سلطاته ..

..ومن تلك اللحظة اعتبر الشعب الفرنسي ملكهم لويس السادس عشر خائناً .



الفصل السادس

.. كانت الأوامر الجديدة صريحة وصارمة فى قصر التويليرى .. فها هو مسيو جوفيون مساعد القائد لافييت يقبل على الملكة ويقول :

– يجب أن يبقى باب غرفتك مفتوحا طوال اليوم يامولاتى ..

فصاحت الملكة :– ولكن كيف .. ؟ أيظل مفتوحا ليلا نهارا ! .

– نعم .. هذه هى الأوامر ياصاحبة الجلالة ..

– وهل يراقبوننى حتى وأنا مستغرقة فى النوم مرتدية ثيابى الداخلية وغض الرجل بصره وقال :

– عفوا يا مولاتى .. أنى أسف جداً .

– وهل يمكننى ياسيدى أن أقابل زوجى الملك ؟..

– بكل تأكيد ياصاحبة الجلالة على أن تتم هذه المقابلات فى حضور شهود ، المقابلات الخاصة ممنوعة والرسائل المتبادلة ستقض أولا بمعرفة ضابط الحرس ..

– وطفلاى .. أيمكننى أن أراهما فى كل وقت ؟.

– بالتأكيد يامولاتى ..

.. ثم رفع الضابط يده إلى رأسه بـالتحية العسكرية ثم غـادر القاعة وقد تألقت عبرة فى عينيه ..

.. وجاء إلى القصر رجل مكلف من جهة اللجنة التنفيذية للتحقيق فى كيفية فرار الملكين وتحديد المسئولية ..

سأل الملكة عمن دبر الفرار ؟.

وكان جوابهـا :- أنا والملك طبعا أليس لنا الحق فى أن ننشـد الحرية التى حرمنا منها ..؟!!

.. ومن كان مساعدوكم على الفرار ؟!

- لم يساعدنا أحد .

- يقال أن الكونت فرسن هو الذى دبر هذا الأمر .

- لم يفعل الكونت فرسن إلا أن نفذ الأوامر التى أصدرتها إليه .

- ألم يصحبكم عند الرحيل ؟..

- لا .. لقد أرشد الحوذى إلى الطريق فقط .

- وأين هو الآن ؟.

- غادر فرنسا بناء على أمر صدر إليـه من سفير السويد .. فهو سويدى كما تعلم .

وبعد انتهـاء التحقيق .. حـياها القاضى وأنصرف كى يسـتجوب الملك واستولى القـلق على الملكة .. هل سيجيب الملك كـما أجابت هى فلا يفضح فرسن وتدبيراته !..

وجاء الحـارس الجديد الذى يتولى حراسـة مخدعهـا .. ولحسن الحظ كانـت مارى أنطوانيت تعـرفه .. فقـد كان مـمـثلاً مـسرحـياً شاهدته يمـثل أكثر من مرة.. .. وضـع الجندى اصـبعه على شفـتيه يشير إليها بالصمت ، ثم قال بصوت خفيض :

– أنني طوع أمرك يامولاتى .

– حسنا .. أنني أريد مقابلة زوجى لبضـع دقائق .

– إنني رهن إشارتك دائما .

وذهبت الملكة إلى زوجـها وأفـضت إليـه بخلاصـة ما أجـابت به المحقق ، ثم أنطلقت إلى طفليهـا فكان لها فى قبلاتهمـا خير عزاء عن هذه المحنة القاتلة ..

★ ★ ★ ★

وفى الوقت نفـسـه كـان الزعـمـاء الثـلاثـه مـارا ، ودانتـون ، وروبسبير مجتمعين بدوق دورليان .

قال الدوق : من رأيى أن تقتلوا الملكة فورا .. فإنها رأس الفساد .

فقال روبسبير : لا .. الملك هو العنصر الأساسى .

ووافق مارا : إنى أشاطرك هذا الرأى .

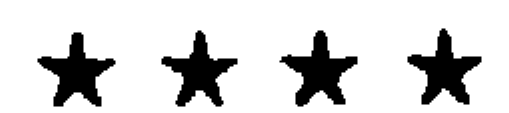
.. أما دانتـون فقد كـان بادى التردد ولكنه أشار بضـرورة قتل ولى العهد أيضا للقضاء على الملكية قضاء تاماً ..!!

لكن الدوق دورليان عاد يقول :

– لابد من قتل الملكة ، صدقونى إنها تسعى للفرار مرة ثانية وقد تنجح هذه المرة .

وراح يضرب على هذه النغمة .. وهم يصـدونه ويرفضون الأخذ برأيه .

.. هكذا كان الأعداء يخططون للملكة وأسرتهـا الصغيرة .. والمسكينة حبيسة جدران قصر التويليرى اللعين .



كانت الملكة فى غرفتها حين دخلت عليها مـدام "تيبو" وصيفتها وقالت وهى تنحنى :

– لقد حضر الكونت فرسن ياولاتى ..

.. ودهشت الملكة .. إذ كان الكونت هو آخر فرد تتوقع حضوره .

ودخل الكونت فـرسن وجثا أمـام الملكة وقبل يدها فى خشوع ، وأنهضته وقالت له :

– لم يكن من الحكمة أن تحضر .. من أين أنت قادم الآن ؟..

– من بروكسل ، وبواسطة جواز مرور مزور .

– هذه مخاطرة كبيرة .. اجلس هنا ودعنا نتحدث .

.. وجلس إلى جانب المرأه التى يحبها بكل جوارحه .. ثم قال لها فجأة :

– فى وسعى أن أدبر فرارا جديداً يامولاتى !!

– فقالت الملكة بلهفة : ولكن كيف .. ونحن لا نملك مالا.. ؟!!

– سأجد المال الكافى .. وسأستعين فى ذلك برجل مخلص موفور النشاط .. وهو البارون دى باتز .

– لقد سمعت عنه .. ولكن كيف ستتصل به ؟

– هذا ما سوف أتدبره .

– ولكن الملك أقسم بأنه لن يهرب .

– سأحاول إقناعه .. ولكن عليك أن تحضر به إلى هنا .

.. ودعت مارى أنطوانيت الملك إلى مخدعها ، وعندما رأى الكونت فرسن ابتدره بقوله :

– لقد وعدتهم ياكونت بألا أحاول الفرار ، ولن أحنث بوعدى .

فقالت مارى أنطوانيت :– أن الشعب يزداد جنونا كل يوم ، وعاجلا سيطالب برأسينا لابد من الهرب يالويس .

.. ومازالا بالملك حتى أقنعاه .

وفى المساء غادر الكونت فرسن قصر التويليرى ، واتجه إلى حى قاص من أحـياء باريس القذرة .. حـيث كان البـارون دى باتز يقيم متنكراً .

أخذ الرجـلان يتحدثان ، وروى الكونت لصـاحبه خلاصـة مادار بـينه وبين الملكين ..

وقال البارون : متى يكون الفرار ؟.

الكونت فرسن : متى أعددنا العدة له .

فقال البارون : حسنا .. ولكننـى أحتاج الى المال لرشوة أربعة من كبار الزعـماء .. وهم بالتحديد دانتون ، وفرشـيه ، وكابو ، وبارير ، وكل منهم لا يرضى بأقل من خـمسـين ألف فرنك ، يدفع خـمسـها فورا .

فـقال الكونت فـرسن : سأحـاول الحصـول على المال اللازم من صديق حميم ..

البارون :- وأين يقيم هذا الصديق ..؟

.. فى ضاحية سانت أونوريه على قيد خطوات من منزل روبسبير .. صبّ دى باتز الشراب فى قدحين وهو يقول :

- فلنشرب نخبه ، ونخب الملكة ونخب النجاح المنشود .

قال المركيز دى تمبراى للكونت فرسن :

- كم يكفـيك من المال ياعزيزى الـكونت كى تستطيع شـراء ذمم

أولئك الزعماء المنافقين ..؟!!

– نصف مليون فرنك ياسيدى الماركيز .. وعلى الفور .

– وأى نوع من أوراق البنكنوت ..؟

– أوراق انجليزية .

– لحظة واحدة .. سأتيك بالمال فورا .

.. وغاب المركيز دقائق ثم عاد وهو يحمل رزمة من الأوراق المالية دفعها إلى الكونت وهو يقول :

– إليك ما طلبت ياسيدى الكونت .. أرجوك ألاّ تشكرنى إنى فى سبيل هذه القضية المقدسة لا أحجم عن شىء ، فإذا ما أحتجت إلى مبلغ أخر فأنا رهن إشارتك ..!!

.. وفى يوم ٢٠ يونيو تألب جمع من الرعاع وانطلقوا إلى قصر التويليرى يغنون وينشدون ويطالبون بالخبز .

وكان هذا الهجوم فجائيا واقتحم القوم القاعة الكبرى ثائرين هائجين يتطاير الشرر من عيونهم ..!!

وضمت الملكة طفليها إلى صدرها ووقفت ترتعد وقد استولى عليها الذعر واقتربت إحدى النساء من ولى العهد الطفل ونزعت من فوق رأسه القبعة التى تحمل الشعار الملكى وألقت بها على الأرض وبصقت عليها ، وداستها بقدميها ثم وضعت فوق رأسه قبعه حمراء يزينها الشريط المثلث الالوان « شعار الثورة » .

..وهتف القوم لذلك هتافا شديدا .

وخشيت الملكة أن تشتد حماسة الجماهير فيفتكوا بها وبطفليها وذكرت ما كان يوم هاجم الجمهور قصر فرساى فبرزت إليهم من الشرفة وتحدثت إليهم .

وفى صوت مرتعد .. بدأت الملكة تتكلم ، وكان حديثها صادراً من أعماق القلب ..!!

قالت :– بأى شىء أسأت إليكم .. ؟ وأى ضرر سببته لكم ؟ إنكم لا تعرفوننى ولا تعرفون أننى لا أفكر إلا فى خيركم ، أنتم تعتقدون أننى متعجرفه شديدة الخيلاء ، ولكننى لست على شئ من هذا .

.. إننى أم مثلكم ، وزوجة مثلكم ، فهل تحسدوننى لكونى ملكة صدقونى أنى ما نكبت فى حياتى إلا بأن أكون ملكة ، إن تاج الملكية حمل ثقيل ، وأسعد يوم فى حياتى هو ذلك اليوم الذى لا أكون فيه إلا أما ..!!

.. ينبغى أن تشفقوا علىّ وأن ترثوا لحالى .. إنكم تفكرون فى قتلى .. وإذا .. مت .. فماذا يكون مصير هذين الطفلين المسكينين .؟!!

ألقت الملكة بهذه الكلمات فى صوت مضطرب متهدج بالألم والأنفعال.. وساد السكون !

وفجأة .. بدأت إحدى النساء تبكى ، وانتقلت عدوى البكاء إلى امرأه ثانيه،.. وثالثة ولم تمضى لحظات حتى كانت جميع النساء يبكين .

وتكلم أحد الرجال .. وقال :- إنها ليست شريرة كما نظن .

وقال صوت آخر :- ربما خدعونا .

فصاحت الملكة :- نعم .. لقد خدعوكم .. لقد خدعوكم .

وأخذ القوم يتهامسون .. هذا يقول :- إنهاطيبه القلب .

وذاك يقول :- أنها أم .. فارحموها .

ثم علا الهتاف :- فلتحيا الملكة .. فلتحيا مارى أنطوانيت .

ثم أخذ القوم ينصرفون ، وصيحاتهم تملأ المكان .

★ ★ ★ ★

ولكن الشعب الذى انحاز إلى صف الملكة مالبث أن أنقلب عليها حيئن استمع الى أحاديث زعمائه .. ودسائسهم .

فى كل يوم ، بل كل ساعة إشاعة جديدة وأكذوبة جديدة .

الملكة تسرف ، الملكة تلهو وتعبث .. الملكة تراسل أعداء البلاد فى الخارج وتطلب منهم غزو فرنسا ..!!

.. عشيق جديد .. فضيحة جديدة لمارى أنطوانيت .. الملكة تحب وزوجها لايأبه !!

.. وفى داخل قصر دوق دورليان .. كان التخطيط لمؤامرة جديدة .. مؤامرة تقضى على الملكة نهائيا .

ومقابل تلك المؤامرة الدنيئه .. كان البارون دى باتز يسعى إلى إنقاذ الملكة .. فاستطاع بالمال أن يضمن تأييد أعضاء الجمعية الوطنية .. ولكن حادثا حرجا وقع فى تلك الأيام أهاج الشعب وجعل الأمور تتأزم بصورة خطيرة !!

.. إذ كوّن المهاجرون خارج فرنسا جيشا كبيرا وهاجموا الحدود !!

وثار الشعب وحدث هرج ومرج فى الخطابة ، قالوا جميعا : إن الظروف تقضى بضرورة قتل الملك حتى لا يجد المهاجرون سببا يدفعهم إلى غزو البلاد ، وجاءت الأنباء تتوالى بأن المتآمرين قد اتخذوا الأهبة لمهاجمة القصر .

..ودعت الملكة زوجها وقصّت عليه النبأ .

وهز لويس كتفيه هازئا وقال :

– لا أعتقد أنهم سيهاجمون القصر .

– ولكن هذا نبأ مؤكد .

– وماذا تطلبين منى ؟.

– إن تأمر رجال الحرس الوطنى بمقاومة الثائرين وإطلاق النار عليهم .

– محال أن آمر بإطلاق النار على الفرنسيين .

.. ولكن الملك لويس المعروف بتردده .. أضطر في النهاية إلى موافقه زوجتـه على ضرورة إطلاق النـار على الثائرين .. وليـته مـا فعل .. فبعد معركة قصيرة استطاعت الجماهير الغاضبة أن تدخل القصر .. واستقـر رأى زعماء الشعب على ضـرورة البت في أمر الملك والملكة بصورة نهائية وعلى هذا تقرر عقد اجتـماع للجمعية الوطنية على أن يحضر الملكين هذا الاجتماع .

★ ★ ★ ★

سار الموكب إلى الجمعية الوطنية في حراسة شرذمة من الحرس الوطنى ترد عنه الرعاع الثائرين وكانت الصيحات لا تنفك ترتفع من جميع الأرجاء منادية بموت الملك والملكة .

وفي داخل المركبة كان ولى العهد يميل إلى أمه ويقول :

– أماه .. إنى جائع .. أما من كسرة خبز ؟!

.. فمنـذ تولى رجال الثـورة أمرهم .. كان الـطعام لا يقدم إلـيهم إلا بقدر .

وجعل القـوم يتأملون الملك وهو فـى مركـبتـه .. كان صـامتـا مستكينا لا يكاد يرفع رأسـه .

وقال بعضـهم متهامسـين :– عجبا !! أهذا هو الجـبار الذى كانوا يحدثوننا عنه ..؟

أما لويس فقد كان يقول لزوجته :- أني سعيد لأنني لن أصبح ملكا.

فقالت ماري أنطوانيت : - وبم تنوي أن تشغل وقتك ؟.

- بصنع الأقفال طبعا .

أما ولي العهد فقد نطق بالنبوءة التي ما لبثت أن تحققت .. إذ قال :

- مادام أبي لن يصبح ملكاً يا أماه فلن أصبح أنا لا ملكاً ولا ولياً للعهد .

فقالت الأم والحزن يمزق قلبها :- سأجيبك على هذا فيما بعد يابني .

.. فيما بعد .. حين تصدر الأقدار كلمتها الحاسمة .

.. فيما بعد .. حين تفرغ الجمعية الوطنية من إصدار قرارها .

واقتيد الملكان إلى قاعة الأجتماع .. وأجلسهم الثوار في ركن منها .. وبالتحديد في الركن المخصص للكتبة !..

واحتدم الجدل .. واشتد الصخب والضجيج ، وتبارى النواب في أظهار مواهبهم الخطابية .. أشار بعض النواب بضرورة قتل الملك .. فقتله هو السبيل الوحيد للقضاء على الملكية قضاء تاماً .

وصاح نائب أخر :- ولنقتل ولي العهد أيضا .. فإن حق الملك سينقل إليه إذا ما قتلنا لويس .

.. واحـتدم الجـدل ثمانى عـشرة سـاعة .. كـان النواب فى خلالهـا يخطبون ، ويأكلون ويشربون على حين نام ثلاثه أرباعهم وهم على مقاعدهم ولم يبق منتبها إلى المناقشات إلا نفر يعد على الأصابع .

..وأخيرا تقـرر نقل المواطن (كابيه) إلى قصر لكسمـبرج لحين البت فى أمره .

والمواطن كـابيه هو الأسم الذى أطلقـته الجـمعـية الوطنيـة على حضرة صاحب الجلالة .. لويس السادس عشر ملك فرنسا .

ومرت أيام .. والملـكة المسكينة لا تسمع من النوافـذ إلا صيـحات الموت ولم تكن هناك ريبة فى أن الأعدام هو المصـير المحتوم الذى لا مهرب منه .

.. وفى أحد الأيام .. كانت الملكة جـالسة فى غرفتهـا تفكر فى حالها والمصيـر الذى ينتظرها ، وفجـأة سمعت عـزف قيثـارة فى الطريق وصوت رجل يغنى ..

أرهفت أذنيهـا وقد وجدت فى غنـاء الرجل ما يعبـر عن الأحزان التى يمتلئ بها صدرها .

كان الرجل يغنى للموت..وللحياة.. وكانت كلمات الأغنـية تقول:-

" الموت يلاحقنى فى كل مكان .

وأفر منه لأنى أحب أن أعيش .

أعيش من أجل أطفالى .. لا من أجل نفسى .

فأين الفرار "..؟

.." الموت فى كل مكان .. باسط ذراعيه .

ولكن الأمل يجب ألا يموت .

فلنعش بالأمل .

فيه وحده نستطيع أن نفر من الموت "..

وطاف فى ذهنها خاطر مفاجئ .. هذه الأغنية .. ألا يمكن أن تكون علامة .. أو إشارة .. وهذا المغنى .. أيمكن أن يكون صديقها فرسن ..!! ، أو دى باتز المخلص الأمين !!

.. وأسرعت إلى زوجها تنبئه بما سمعت وفهمت .

وصاح لويس : محال أن أسعى إلى الفرار مرة أخرى .

– هذا معناه الموت .

– فليكن .. فلست أبالى بالموت .

.. وترامت إلى ولاة الأمور أنباء عن مؤامرة واسعة النطاق لمساعدة الملك على الفرار ، وصدرت الأوامر بنقل الملكين والحاشية إلى سجن "التامبل" بدلا من قصر لكسمبورج ، وكان هذا ايذانا بالنهاية.

.. سار الموكب الملكي إلى السجن .! ولكن أى موكب !!

.. لم يكن الهتاف إلا عدائيا ، ولم تكن النظرات إلا شزراً وغضباً فلم يكن هناك قلب ينبض بالعطف ..!!

ونظر أحد الرعاع إلى الملكة وقال :

– لاترفعى رأسك أنفة وكبرياءً .. ففى القريب لن يكون لك

رأس .. ترفعينه ! وقطّب لويس وجهه !!

وقال ولى العهد الطفل :

– ماذا يعنى هذا الرجل يا أماه !؟.

– أنه يمزح يابنى .

– إذا كان مازحاً فلما ذا لا يضحك أبى !!

وفى سجن التامبل حيل بين لويس وأسرته بضعة أيام ، ومنع الاتصال بينهم ، ثم صدرت أوامر أخرى بالسماح لهم بالاجتماع معا .. ولكن تحت رقابة شديدة للغاية .

وفى خلال ذلك كان النبلاء يحصدون بالجملة والمقاصل فى حركة مستمرة لا تكف لحظة واحدة عن العمل .. تقطع الرءوس .. والشعب يهلل فرحا .

كان دوق دورليان يغذى حركة العداء الشديد "للملكة" وذلك بأمواله ودسائسه إذ كان يطمع فى ارتقاء العرش بعد مصرع الملكين .

ولكن هذا الأمل بدأ يتزعزع فى الأيام الأخيرة إذ كان يبدو أن الملكية كنظام حكم ستموت إلى الأبد .

.. وكانت استشارة المنجمين والعرافين شائعة فى ذلك العهد ، فمضى دوق دورليان إلى مدام بيفون العرافه الشهيرة .

فلما تهيأت بمعدات التنجيم قالت له :–

– والآن .. سلنى ماتشاء .

وبدأ يلقى عليها أسئلته .. قال .

- هل أرتقى العرش .؟

فكان الجواب - كلا .. كلا بكل تأكيد .

- وما السبب ؟..

- إنك محاط بأعداء كثيرين .

ثم قالت العرافة تسأله :- أليس لك صديق !؟.

فقال الدوق : نعم .. صديق كاتب أغدق عليه بأموالى وقد أقسم على أن يكون وفياً لى .

وكان يعنى بهذا الصديق "مارا" أحد زعماء الثورة وصديق الشعب كما كانوا يسمونه .

فقالت العرافة :- نعم .. إنه صديق لك .. ولكنه سيموت قريبا..!!

- وهل سأموت أنا ميتة طبيعيه أم على المقصلة ؟..

- بل ستموت على المقصلة .

- قبل أم بعد مصرع الملكة ؟.

- بل بعدها .. بقليل .

- وابنى ؟.

- أنه سيرتقى العرش .

وفى اليوم نفسه الذى كان دوق دورليان يستشير العرافة فيه ، هبطت باريس فتاة ريفية من أهل نورماندى المعروفين بالولاء للبيت المالك .

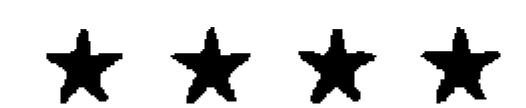
عرفت الفتاه الريفية أن الملك والملكة وولى العهد مسجونون فى

سجن التمبل وعرفت النكبات التى حلت بالأسرة المالكة .

.. وعرفت أن عهد الإرهاب يسود البلاد .

وسألت الفتاه الريفية عن زعيم الشعب ، فقيل لها أنه مارا ..

.. وأقسمت أن تقتله .. وبالفعل .. استطاعت بسكين مطبخ اشترته بفرنكين أن تقتل مارا وهو جالس فى حوض الماء يستحم داخل منزله وتحققت نبوءة العرافة .



الفصل السابع

النهاية

تحرجت الأمور وبلغت ذروتها .

جيوش أوربا المتحالفة تهاجم الحدود وتغزو الأرض الفرنسية لتعيد الملك وزوجته النمساوية إلى العرش .. والنشرات والجرائد تدعو إلى قتل الملك ليكون ذلك رداً حاسما على تدخل المهاجرين وجيوش النمسا .

وأخيرا .. أمام تلك الصيحات المتتالية والتى تدوى كالرعد .. تقرر محاكمة الملك !.. وبدا كأن الثورة بلغت غايتها ، فالملك قد نزل عن العرش دون أن ينطق بكلمة احتجاج واحدة ، هو وامرأته وولداه قابعون فى السجن أذلاء .. بلا حول ولا قوة !!

عرف "سجناء التامبل" بقرار محاكمة الملك حين جاء إلى السجن مندوب من قبل لجنة الأمن العام يطلب جميع الآلات الحادة كالمدى والمقصات والشوك خشية أن تستخدم كأداة انتحار ، فأدرك القوم أن الملك "المراقب" قد أصبح متهماً .

وللمرة الثانية حيل بين لويس السادس عشر وأسرته .. كانوا يقيمون فى نفس البرج فى الطابق الأسفل منه يسمع كل منهم

خطوات صاحبه وكان هذا فى حد ذاته أجراء منطويا على القسوة حين يذكره وقع الخطوات بأن على قيد أمتار منه أعزاء يحبهم ولا سبيل إلى رؤيتهم .

وفى خلال تلك الأسابيع الطويلة .. المفجعة .. هذه الأسابيع الحافلة بالألم وعذاب الأنتظار ، لم يؤذن لزوجته بالتحدث إليه مرة واحدة .. وكانت الملكة المسكينة فى شوق إلى أن تعرف تطورات المحاكمة ، ولكن الأنباء حبست دونها ولم يؤذن لها با لأطلاع على الصحف ، فأمضت هذه الأيام فى عذاب أليم .

★ ★ ★ ★

وفى أحد الأيام .. جاءها أحد رجال المحكمة وقال لها : إن ولاة الأمور قد أذنوا لها بمقابلة زوجها وقضاء النهار فى غرفته .

وأدركت المسكينة مدلول هذا السماح .. لقد قضى على زوجها بالموت!!..

وللمرة الأولى .. تركت الأسرة المالكة وحدها دون رقيب يسترق لسمع ويحصى الكلمات والحركات .. ومن خلف طاقة زجاجية فى الباب وقف الحراس يرقبون هذا الوداع الأبدى .

.. ومامن شك فى أن هذه اللحظات التى يودع فيها الأب زوجته

وأبناءه إلى الابد – كانت عند مارى أنطوانيت أمـر اللحظات وأشقاها ومهـما أسهـبنا فى القول .. فلن يكون هذا الأسـهاب إلا تعبـيراً عن شطر من تلك الفـاجعـة الـتى هـزت نفـسهـا هـزاً أليمـا .. ومـزقت قلبها ..!!

.. وليس فى الدنيـا مـا هو أفـجع وأشد أثـرا فى النفس من رؤية رجل يسيـر إلى الموت .. وإذا كانت مارى أنطوانيت لا تكن لزوجـها ذلك الحب النارى فـينبـغى أن لا نـنسى أنهـا عـاشت مع هذا الزوج عـشـرون عـامـا وأنـهـا رزقت منه بأطفـال وأنهـا فى خـلال تلك الأضطرابـات والأزمـات والمكائد لـم تجـد إلا ذلك الزوج الـوفـى العـطوف .

ولقد صـهرت هذه الفاجعـة لويس السادس عشـر ، فلم يعد ذلك الرجل المضطرب الأعصاب ، المتردد ، وانما أنقلب مخلوقا أكتملت فيه عناصر الرجولة .. فما بدرت منه بادرة من الخوف أو الأنفعال .

وفى السـاعـة العـاشـرة مـسـاء نهض الملك وأشـار إلى أسـرته بالانصراف وكان ثـابت الأعصاب متزن الخطى وفـى صوته الهدوء الطبيعى الذى لا يبدو أثر من الأضطراب .

.. وفى مخدعها أمضت مارى أنطوانيت الليل ساهرة أرقة .

وكان الليل طويلاً .

وأخيـرا بزغت أنوار الفـجر ، وسمـعت مارى أنطوانـيت أصوات الاستعداد الـرهيب .. وقع حوافر الخيل .. وجلبة المركبـة التى ستقل الملك إلى الموت ..!!

وظلت طيلة الوقت تسمع حديث الغوغاء ، ووقع أقدام تصعد الدرج أو تهبط عليه .. وقعقعة السلاح ، ودق الطبول .. وكان كل صوت بمثابة خنجر يغيب فى أعماق صدرها .

.. وأمام الباب وقف نفر من الجند يحولون دون خروجها .. حتى فى اللحظة الأخيرة حيل بينها وبين الزوج المسكين كما حيل بينه وبين الأطفال ..

على قيد خطوات منها .. ولكن كأن بينهما أميالاً وبلاداً .. لا مصافحة ولا معانقة ، ولا نظرة وداع تخفف من وطأه السكين على العنق .. وبعد ساعة.. منحت المقصلة مارى أنطوانيت ملكة فرنسا اسماً جديداً .. هو : « أرملة كابيه » .

أعدم لويس السادس عشر ، وتذكر أكثر الروايات التاريخيه أنه كان رابط الجأش .. هادئ الأعصاب وهو يضع رأسه تحت المقصلة .. !!

★ ★ ★ ★

مات الملك .. والآن .. ماهو مصير زوجته مارى أنطوانيت ؟..

فى ذلك الوقت لم تكن الجمعية الوطنية تنوى محاكمتها أو إراقة دم ملكى جديد .

.. كانت الفكرة الشائعة أن تستبقى مارى أنطوانيت رهينة لديهما حتى لا تفكر النمسا فى مهاجمة فرنسا ، أو حتى تفتديها بقدر جسيم من المال يعوض فرنسا تلك الأموال التى بددتها الملكة السابقة فى أسراف وبذخ .

ولكن امبراطور النمسا كان قتوراً ممسكاً ، لقد أبى أن يفتديها بشىء من المال ، ولم يكن فى نيته أن يحارب فرنسا لإنقاذها .. إنه ما كان ليلقى بجنوده فى أتون الحرب إلا من أجل فكرة أو مبدأ .

.. أما الكونت فرسن فقد كان لايزال يعمل على إنقاذ مارى أنطوانيت .. فقال لقنصل النمسا :-

– لقد خلعت مارى أنطوانيت عن عرش فرنسا فأستردت بذلك جنسيتها النمساوية ، فمن واجب الحكومة النمساوية أن تتدخل وتبسط عليها حمايتها وأن تطالب بإعادتها إلى وطنها بصفتها مواطنة نمساوية ، حتى لو أضطرت النمسا لى تجريد جيوشها لتحقيق هذا الغرض .

ولكن امبراطور النمسا رداً على هذه الدعوة بقوله :

– إننى على أستعداد لمهاجمة فرنسا عسكرياً إذا تعهدت الدول الأخرى بمساعدتى .

.. ولكن الدول الأخرى أصمت أذنيها عن هذا النداء .

.. وتخلى العالم أجمع عن الملكة المسكينة ؟!!

.. ولكن مارى أنطوانيت لم تفقد الرغبة فى الحياة .

لقد نزعوا التاج عن رأسها ولكنها ستعيش من أجل طفليها ، وستناضل حتى اللحظة الأخيرة .. وإذا كان الهرم والأعباء قد نالا منها فأنها لا تزال تحتفظ بنضارتها المعهودة ، والتى تجتذب إليها القلوب .

ورغم الاحتياطات الدقيقة .. كان حراسها المتعاقبون ينقلبون إلى موالين لها .. يحملون إليها الرسائل السرية ويجمعون بينها وبين أنصارها وكم من رسائل تبودلت حملها أولئك الموكلون بمراقبتها ، رسائل كتبت بحبر سرى أو بعصير الليمون أو رسائل دست فى سدادات الأباريق بعد تجويفها .

لقد مات الملك ، فتخلى عنها من بقى مواليا من الأنصار ، ولكنها لم تقنط ، ظلت تسعى الى النجاة بوسائلها الخاصة بمساعدة نفر قليل من الأصدقاء المخلصين .

وكان على رأس هؤلاء الأصدقاء الجنرال (جارجاى) الذى وطد العزم على إنقاذ الملكة .

واستطاع جارجاى أن يقابل الملكة فى سجنها بمساعدة أحد حراسها وهو السجان (تولان) الذى وضعته الثورة لحراستها ، ولكنه انقلب واحدا من أكبر أنصارها .

كانت الأوامر الصادرة من البلدية تقضى بإضاءة أنوار السجن فى كل مساء حتى يشيع فيه ضوء قوى فقد كان ولاة الأمور يخشون الظلام إذ فى الظلمة عون على الفرار !!

وكـان يتـولى عـمليـة الإضـاءة منـدوب من قبـل البلدية يؤذن له بدخول السـجن كل مساء .. وذهب (تولان) إلـى هذا المندوب وأقنعه بأن صديقـاً له يتلهف إلى مشاهدة سـجن التامبل من الداخل فـقبل المندوب بالتخلى عن نوبته فى إحدى الليـالى وأن يعير صديق تولان هذا ثيـابه ومشـعله .. وبالطبع كـان نصـيـب المنـدوب حـفـنة مـن النقود .. !!

.. وفى الوقت الذى كان (جارجـاى) فيه يتسلل إلى سـجن التمبل متنكراً فى زى عـامل الإضاءة ، كان هذا فى إحدى الحانـات يحتسى الخمر ويدفع ثمنها من بعض المال الذى أصابه من تولان .

.. وتقابل جـارجاى مع الملكة وأعـدا معـا تفاصيل خـطة الهروب الكبير ! كـانت خطة الفرار تقضـى بأن تتنكر الملكة ووصيفـتها مدام اليزابيث فى ثيـاب الحرس الجمـهورى ثم تغادران البـرج مزودتين بأوراق مزورة .

أما فيمـا يتعلق بالطفلين فقد بدا الأمر شـاقا عـسيراً ولكن شاءت الصدف المحـضة أن يكون منـدوب البلدية قد اعـتاد أن يحـضر إلى السجن وفى رفقـته أطفاله فى أغلب الأحيـان .. فأتفق الرأى على أن يحل ولى العهد وأخته محل طفلى المندوب .

وهناك .. على مقربة من السجن تنتظر ثلاث مركبات سريعة لنقل الهاربين وأقرت الملكة هذه الخطة .

.. وتقـدمت تلك الخطة خطوات ، فـأمكن إعـداد بعض الجـوازات

المزورة ولكن المزور أحجم عن أعداد بقية الجوازات المطلوبة وبذلك استحال فرار أعضاء الأسرة الأربعة ، وكان ممكناً انقاذ الملكة وحدها .. ولكن الملكة - بدافع من الأمومة - أبت أن تهرب وحدها وأن تتخلى عن طفليها وقد كتبت إلى الجنرال جارجاى فى هذا الشأن تقول :-

" كان حلما جميلا .. وهذا كل شىء "..!!

.. أخفقت الخطة التى وضعها الجنرال جارجاى ، وازدادت وطأة الحراسة شدة، ونقل تولان إلى سجن آخر إذ رأى اعضاء لجنة الأمن العام أن يبدلوا الحراس من حين لآخر خشية أن تؤثر فيهم مارى أنطوانيت بوسيلة ما فينحازوا إليها ، وفقدت كل أمل فى الفرار .. لم يعد لديها الا رجاء واحداً.. الا وهو تدخل امبراطور النمسا أو أنتصار جيوش النبلاء المهاجرين على جنود الثورة..

.. كان زعماء الثورة قلقين من أحتمال تمكن مارى أنطوانيت من الهرب .. لذا قاموا بإصدار عدة قرارات تحول دون ذلك .. فأقاموا عليها حراسة مشددة جداً .. ثم قرروا أن يطعنوا فيها ذلك القلب الذى ينبض بحب إبنها فأمروا أن ينقلوا ولى العهد إلى مكان آخر - بعيداً عن أمه - وأختاروا له مربياً فظا هو الأسكافى (سيمون) المعروف بوطنيته وإخلاصه وبعدائه الشديد للملكية .

وكان اختياراً موفقاً يحقق الغرض .. فقد كان سيمون هذا جاهلا .. أميا وبأختيار هذا الرجل مربيا لولى العهد .. تقرر مصير المسكين .

لم يكن يراد منه أن يكون رجلا مهذبا أو متعلما وإنما كان يراد منه أن ينحدر إلى أحط دركات الإنسانية وأن يكون أجهل أهل فرنسا ..!!

.. يراد منه أن ينسى أنه سليل ملك أطاحت الثورة برأسه وسط الدموع والتوسلات .. نزع ولى العهد من بين ذراعى أمه وهو يصرخ باكيا .

.. ولو أن أحداً نظر إلى هيئة الملكة فى تلك الأيام ورسمها رسام مجهول - لأعياه أن يتعرف أو يدرك أنها تلك الملكة النضرة المتألقة ذات البسمة التى تسحر العقول ..!!

واشتعل الشيب فى شعرها ، وتغضن وجهها وأدركها الهرم وهى فى نضرة الشباب .

فقدت عيناها هذا البريق الفاتن الذى ينم عن الحياة الدافقة وبدت يديها رعدة المريضات الضعيفات .. ذبل جمالها ومات قلبها وأصبحت كالشهيدات لا تفزعها أشد النكبات هولا ولا تتلقى أسوأ الأنباء إلا بنظرة شاردة كأنها لا تفهم ولا تعى ..!!

لقد أعدموا زوجها .. وانتزعوا منها طفلها ، فما الذى يفزعها بعد ذلك ؟! .

.. وأخيرا .

تقرر محاكمتها بصورة نهائية .

كان هناك أقتراح بدس السم لها فى سجنها .. ولكن هذا الأقتراح

رفض ، فلابد من محاكمة قانونية يكون فيها أتهام .. ودفاع ، وقرار قضاة.. وفى يوم ١٢ أكتوبر . مثلت مارى أنطوانيت أمام الجمعية الوطنية، وكانت معروفة إذ ذاك با لأسم الذى أسبغته عليها الثورة .. وهو « الأرملة كابيه » .

.. وقف المدعى العام « "فوكيه تانغيل » " يلقى مرافعته بأسلوبه اللاذع .. يوجه الاتهام إلى الملكة :

« " أنت متهمة بالاتصال بملك النمسا قبل الثورة ، وبددت أموال البلاد التى يشقى الشعب فى سبيل جمعها وذلك على الملذات واللهو ، كما قمت بإرسال ملايين الفرنكات إلى امبراطور النمسا لينفقها ضد الشعب الذى يطعمك ويبسط عليك حمايته كما أنك متهمة أيضا بالاتصال بالوكلاء الأجانب والتأثير فى آراء زوجك..! »

واجهت مارى أنطوانيت هذه التهم بثبات .. أنكرتها جميعها ثم بدأ استدعاء الشهود وسماع أقوالهم .

وبلغ الموقف غايته القصوى حين دعى ولى العهد الطفل ليشهد ضد أمه ..!!

.. كان الصغير يبكى خوفاً وفزعاً .. فصاح به أحد الرجال .

- اسكت ياغلام وأجب على الأسئلة والا قطعنا رأسك .

.. وصاحت الملكة صيحة الجزع وانهمرت الدموع من عينيها وهى ترى طفلها يرتعد خوفاً .

.. وأخيرا .. هدأ الغلام تحت وطأة التهديد .. وبدأ يتكلم .

سأله المحقق :

- أن أباك لم يعد ملكا .. أما أنت فلا تزال صغير السن ومن الممكن أن تصبح مواطنا نافعاً .. فهل تعرف من هو المواطن ؟.

فقال الطفل فى صوت متوتر :

- ذلك الذى يصيح "فلتحيا الجمهورية" وينشد نشيد المارسيليز .

- ولعلك تعرف المارسيليز ! غنى لنا قليلا .

فمضى الغلام ينشد النشيد فى صوت خافت :

" « إلى السلاح أيها المواطنون" » .

.. ثم أمسك عن الغناء ولم يزد على هذه المقطوعة شيئا ، وقال إنه لا يعرف بقيه النشيد .

صاح المحقق :

- لقد أبت أمه أن تعلمه نشيد الماسيليز - نشيد الثورة - لقد سممت عقله إنها لم تعلمه إلا الاستهزاء بالشعب وأناشيده .

فبكى الغلام وقال .

- إنك تهين أمى .

فصاح المحقق :

- هل تعلم يافتى أن لأمك عشيقا هو الكونت فرسن .

- لا .. لا أعرف .

– ألم تسمع أمك وأباك يتحدثان عن مارا ، وروبسبير ، ودانتوان (زعماء الثور) .

– سمعتهما .

– وماذا كانا يقولان ؟

– كانت أمى إذا تحدثت عنهم قالت "هؤلاء السادة" وكان أبى يقول إنهم أقل شراً مما قد يبدو للوهلة الأولى .

– وماذا قالت أمك بعد الشغب الذى حدث فى ١٠ أغسطس ؟

– لقد أرادت أن تطلق النار على الجمهور ولكن أبى رفض أن يفعل ذلك وهكذا .. كانت شهادة الإبن هى القاضية على الأم .. وسجل التاريخ موقفاً من أشد المواقف أثراً فى النفس .

.. ودعت مارى أنطوانيت إلى المنصّة وتولى فوكيه تانفيل أستجوابها .

قال لها : أنت التى لقنت لويس فن المواربة ، فما استطاع أن يخدع الشعب طويلا .

فقالت مارى فى هدوء : حقيقة خدع الشعب ، ولكن لست أنا ولا زوجى اللذين خدعناه .

.. كان من الواضح أنها تعنى زعماء الثورة .

واستطرد فوكيه :– ومن الذى خدعه ..؟

مارى :– لست أدرى .. وكل ما أعلم من الأمر أن مصلحتى إنما

تقضى على تنوير الشعب لا خداعه وتضليله ..

- ليس هذا جوابا على سؤالى .. إنى أريد جوابا مباشراً .

مارى : لو كنت أعرف الجواب المباشر لما ترددت فى إلقائه إليك .

ثم سألت عن فرارها .. فأجابت بأن أى شخص مكانها كان ولابد وأن يفكر فى الفرار .. وبحصافة وحيطه استطاعت أن تبعد أصدقاءها الذين ساعدوها فى الفرار (الكونت فرسن) عن ذلك الأستجواب .

وقال المحقق يسألها :- هل تعتقدين أن هناك فائدة لوجود جيوش الجمهورية ؟.

وأجابت :- إنى أعتقد أن هناك فائدة لكل من يستطيع أن يكون فى خدمة فرنسا ، ورفاهيتها .

- أتظنين أن وجود الملوك ضرورى لرفاهية الشعب ومجده .

- هذا أمر لا يمكن البت فيه .

- لاشك أنك آسفة لأن ابنك فقد عرشا كان يرجى أن يرقى إليه لو لم يفطن الشعب إلى حقوقه فيحطم هذا العرش .

- إنى لا آسف مطلقا على شىء خسره ابنى مادام وطنه سيصير سعيدا .

كانت مارى أنطوانيت تجيب بكل حذر .. ودهاء .

ولكن كان من الواضح أن مصيرها قد تقرر بدون هذه المحاكمة الصورية..

وبعد ثلاثه أيام .. مثلت مارى أنطوانيت أمام محكمة الثورة مرة أخرى..

.. قال هيبر أحد زعماء الثورة وزعيم طائفة (المسعورين) وهو يشير إلى ولى العهد .

أنظروا إلى هذا الطفل .. إنه ضعيف البنية شاحب الوجه لا أعصاب له .. ومن الذى فعل به هذا ؟ أمه مارى أنطوانيت إنها هى التى تعمدت أن تجعل ابنها ضعيف البنية مضطرب الأعصاب حتى إذا أرتقى العرش لم يكن له رأى فى تصريف الأمور وظلت هى الحاكمة بأمرها .. أضعفت صحة ابنها عمداً ليكون ألعوبة فى يدها عندما يصبح ملكا وهذه جريمة فى حق فرنسا التى تنتظر أن يكون ملكها رجلا قويا عظيما .. أليس هذا مافعلته !!

.. ولم تجب مارى أنطوانيت على هذا الهراء .

فقال رئيس المحكمة : أجيبى .

فرفعت مارى أنطوانيت رأسها فى أنفة وكبرياء وبدت فى هذه اللحظة.. ملكة فرنسا حقا .. وقالت :- إذا كنت لم أجب فلأن الطبيعة نفسها تثور أمام هذا السؤال المهين الذى يوجه إلى أم تحمل بين جوانبها قلبا ينبض بالحب - ثم تحولت الى المقاعد التى يشغلها جمهور الشعب وصاحت فى صوت نابض بالألم :

- إنى أوجه هذا الكلام إلى جميع الحاضرين فى هذه القاعة وبصفة خاصة إلى الأمهات .. هل هناك أم تتعمد لأى سبب كان أن تضعف بنية أبنها ؟

.. كانت نبرات صوتها صادقه مخلصة .. وسرت غمغمة بين الحضور ..

وصاحت إحدى النساء :

- إنها ليست شريرة ..

وقالت امرأة أخرى :

- إنها مسكينة وليست متعجرفة .

.. وبدأ الرأى العام ينحاز إلى صفها .. وخشى فوكيه تانفيل مغبة ذلك فأنبعث كالرعد يصيح :

- وكيف لنا أن نعلم أن بين جنبيك قلباً ينبض بالحب وأنت تجردين على أبناء فرنسا حرسك السويسرى ليعمل فيهم الذبح والقتل ..!!

.. وبهذه الكلمات استطاع أن يحول التيار إلى ناحية أخرى .. ثم شرع يوجه إليها أسئلته :

- من أين جئت بالأموال التى أنفقتها على إنشاء وتأثيث قصر (تريانون) المخصص لك والذى كنت تقيمين فيه حفلات وسهرات ومآدب ينفق عليها من الميزانية .

– هذه الأموال خصصتها الحكومة لهذا الغرض ولم يكن لى شأن فى تقديرها..

وهنا أشار فوكيه تانفيل إلى الكونتس دى لاموت بطلة حادث العقد الشهير حيث اتهم الملكة بمعرفة الكونتس .. وطلب شراء العقد رغم ما أسفرت عنه التحقيقات عن براءتها .

.. أخيرا .. أمر الرئيس بفض الجلسة .

واجتمع المحلفون فى قاعة منعزلة وظلوا ساعات يتداولون وفى الساعة الرابعة صباحا خرجوا إلى القاعة ووقف رئيسهم فساد المكان صمت رهيب ونطق الرئيس بالقرار .

– مذنبة .. والحكم .. الإعدام بالمقصلة .. !!

وتلقت مارى أنطوانيت الحكم دون أن تطرف لها عين ولم يبد فى وجهها أثر للخوف .

.. وسألها الرئيس عما إذا كان لها أعتراض على الحكم .. فهزت رأسها بالنفى..!!

.. وتقدم إليها أحد الضباط وسار بها إلى السجن .. فمشت معه رافعة الرأس فى خطوات ثابته .



ارتدت مارى أنطوانيت ثيابها بعناية ، ووضعت حول عنقها منديلا من الحرير وأنتعلت أفضل أحذيتها ، وأخفت شعرها الذى خطّه الشيب تحت قبعة بسيطه .

فاليوم هو يوم الإعدام !

.. ورفضت الملكة أن تدلى باعترافها الأخير أمام القس ..!!

وفى الساعة العاشرة .. جاء (سمسون) الجلاد .. وشد يدها وراء ظهرها برباط قوى .

.. ثم أجلسوها على مقعد من الخشب فوق مركبة مكشوفة يجرها جواد ضخم..

وسارت بها المركبة إلى ميدان الثورة (الكونكورد حاليا) حيث احتشد الناس فى مجموعات ضخمة جاءت لتشهد وقائع الإعدام الرهيب ..!!

ووسط هذه الجموع المحتشدة .. القلقة .. المتلهفة ينتصب شيئان جامدان.. متصلبان .. لاتنال منهما الأنفعلات الصاخبة ولا تلك المشاعر المتقلبة .

الشىء الأول هو آلة المقصلة الرهيبة ذلك الأختراع الجهنمى للدكتور « چيلوتين » ..!!

.. وعلى مقربة من .. تمثال الحرية .. فوق نفس القاعدة التى كانت تحمل من قبل تمثال « لويس الخامس عشر » .

.. وهبطت مـارى أنطوانيت من المركـبة .. كـانت غاية فى الهـدوء والثـبات.. وأمـسكها الجـلاد (سـمسـون) من الخلف ، وفى حركـة سريعة ألقاها على اللوح الخشبى ودفع رأسها إلى الطوق .

وأرتفعت السكين .. ثم هوت على العنق ..!!

ورفع الجلاد (سمسون) يده فإذا فيها رأس مخضب بالدماء يلوح به أمام أنظار الجماهير ..!!

وفى أرجـاء الميدان الـكبير ارتفـعت هتافات الجـموع المتـوحشـه تردد :-

" « فلتحيا الجمهورية " »

.. ماتت مارى أنطوانيت .

.. وفى حفرة صغـيرة فى المقبرة ووريت جثتهـا .. ولم يشيد لها قبر ولم يقم فوقها نصب تذكارى ..!!

انتهى كل شئ ..ولم يعد يذكرها أحد ؟! .

.. رجل واحد ظل يذكرها .. الكونت فرسن .

حين بلغه النبأ .. قال :

« " لقد ماتت التى من أجلها كنت أعيش وسأظل مـقيماً على حبها حتى أموت .. إن كل يوم يمضـى - وهى فـى التراب - يجعلنى أشد تعلقا بها !!" .. »

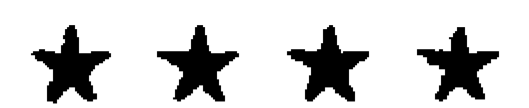
.. حتى فرسن نفـسه مات فى نفس اليوم الذى ماتت فـيه مارى

أنطوانيت يوم ٢٠ يونيه .. ولكن بعد تسعة عشر عاما من موت مارى ..

أما موته .. فقد كان ضحية للشعب الذى قذفه بالحجار مات حين أتهم هو أيضا بدس السم لولى عهد السويد كى لنفسه السبيل إلى العرش .

.. مات الحبيبان ..

– وظلت فرنسا .. قائمة إلى الآن .



تمت بحمد الله

تاريخ استلام : 13/5/2007

سلسلة روائع الأدب العالمي

* أحدب نوتردام .	(ڤيكتور هوجو)
* عقد الملكة .	(الكسندر ديماس)
* سجين زندا .	(انطونى هوب)
* أوليڤر تويست .	(تشارلز ديكنز)
* الجريمة و العقاب .	(دستوفسكي)
* ذهب مع الريح .	(مرجريت ميتشيل)
* ديڤد كوبر فيلد .	(تشارلز ديكنز)
* يد القاتل .	(روبرت بيتمان)
* كل شيء هادئ في الميدان الغربي .	(اريك ماريا ريمارك)
* حبل المشنقة .	(رفائيل ساباتينى)
* تراس بولبا .	(نيقولاي جوجول)
* مرتفعات وذرنج .	(شارلوت برونتي)
* بائعة الخبز .	(كزافييه دي مونتبان)
* نشيد الثورة .	(كلود هوتون)
* محاكم التفتيش .	(رفائيل ساباتيني)
* الرجل الضاحك .	(ڤيكتور هوجو)
* كوخ العم توم .	(هاريت بيتشر ستاو)
* ماري أنطوانيت .	(ليون دوديه)
* الكونت دي مونت كريستو .	(إسكندر ديماس الك...)
* قصة مدينتين .	(تشارلز ديكنز)

Bibliotheca Alexandrina
06185582

٦٠٧

المملكة
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض



الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ / فاكس: ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة: ٠١٠١٥٠٩٥١٥ ص.ب. ٣٧٠ الإسكندرية